الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد
تلمسان

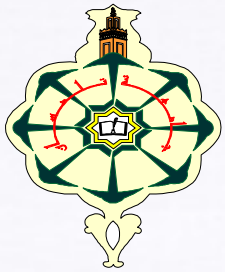

Université Abou Bekr Belkaid
Tlemcen

الملحقة الجامعية بمغنية
قسم اللّغة العربيّة وآدابـــها

الاغتراب والحنين عند شعراء المهجر

إيليا أبو ماضي –نموذجا-

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الدراسات الأدبية

إعـداد الطالبة:
أمينة فرواني

إشـراف:
د. محمد بكاي

أعـضـاء لـجـنـة الـمُـنـاقـشـة

د. بن عدّي نورية — **رئيساً**
أ. زيـــــاني سمير — **ممتحناً**

السنة الجامعية: 1436هـ/1437 هـ، 2015مـ-2016 مـ

دعاء

(اللـهمّ انفعني بما علّمتني، وعلّمني
بما ينفعني وزدني علمـــًا)

إهداء

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على خاتم الأنبياء والمرسلين.

إلى من ربّتني وأنارت دربي وأعانتني بالدّعوات، إلى أغلى إنسان في هذا الوجود "**أمّي الحبيبة**"

إلى من عمل بكدّ في سبيلي وعلّمني وأوصلني إلى ما أنا عليه "**أبي الكريم**" أدامه الله لي

إلى إخوتي.

إلى جميع أساتذة قسم اللّغة العربيّة وآدابها.

إلى كلّ طلبة السّنة الثانية ماستر-أدب ولغة-

شكر وتقدير

الحمد لله ذي الفضل والإحسان، حمدا يليق بجلاله وعظمته، وصلّ اللهمّ على خاتم الرّسل.

الحمد لله الذي أنا لي درب العلم والمعرفة وأعانني على أداء هذا الواجب ووفّقني في إنجاز هذه الرّسالة.

ولله الشكر أوّلا وأخيرا، على حسن توفيقه وكريم عونه.

وواجب الوفاء والعرفان، يحتّم عليّ أن أتقدم بخالص شكري وتقديري لوالديّ العزيزين أمدّ الله في عمريهما، وإلى إخوتي لتحمّلهم عناء الدراسة معي.

كما يسرّني ويشرفني أن أسطر كلّ عرفان بالجميل إلى أستاذي المشرف الذي أفادني بعلمه القيّم، ولم يبخل عليّ بجهده، والذي ساعدني في إنجاز هذا البحث وإخراجه بالصورة المرجوّة، كما منحني الكثير من توجيهاته وإرشاداته، وآرائه القيّمة، حفظه الله من كلّ سوء.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لأساتذة لجنة المناقشة لتفضلهم بمناقشة هذه الرسالة.

وأخيرا أسأل الله العليّ القدير أن أكون قد وفّقت في إعداد هذه الدّراسة ومن الله العون والتوفيق.

أمينـة فروانـي

بسم الله الرّحمن الرّحيم والصلاة والسّلام على أشرف المرسلين سيّدنا محمّد – صلّى الله عليه وسلّم– ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدّين وبعد؛

موضوع "الاغتراب والحنين عند شعراء المهجر" من المواضيع الهامّة التي نالت حيّزا واسعا في الدراسات الأدبية الغربيّة والعربيّة؛ كون ظاهرة الاغتراب لصيقة بالوجود الإنسانيّ.

وقد حظي هذا الموضوع بعناية فائقة من قبل الدّارسين والباحثين في شتى المجالات الأدبية وأولوه اهتماما مضاعفا.

وكان الاغتراب قد شكّل أكبر مشكلة لدى الإنسان عبر العصور، وعانى منه كثيرا إلى أن أصبح الحنين أمرا متصلا بهذه الظاهرة، له مفاهيمه الخاصة، وتعدّدت معانيه في الشعر العربيّ منذ نشأته.

وفي أثناء إنجازي لهذا البحث واجهتني حزمة من التّساؤلات: **ما معنى الاغتراب والحنين؟ وخلال دراستي لهذا الموضوع اخترت شاعرا مهجريّا واحدا على سبيل الحصر وهو "إيليا أبو ماضي"، فمن يكون هذا المهجري؟ وما هي الأسباب والدوافع التي رمت به إلى الهجرة والاغتراب؟ وما أثر الغربة في حياته؟ وعلى مضامين شعره؟ وما هي الخصائص الفنية في خطابه الشعريّ؟**

وكنت قد سعيت إلى الإجابة على هذه الأسئلة في ثنايا بحثي.

ومن هنا جاء اختياري لهذا الموضوع كخطوة أحذو بها طريق الباحثين والدارسين، والذين سبقوني لهذا الموضوع، وممّا دفعني إلى اختيار هذا الموضوع رغبتي في الاطّلاع على جوانبه وكيفية ظهوره وتطوّره، وكذلك الغرض في دراسة شخصية "إيليا أبو ماضي" والعلل التي دفعته إلى الهجرة والبعد عن وطنه وأهله واللجوء إلى ديار الغربة.

وقد سبقتني إلى هذا المجال دراسات متعددة أذكر منها: الحنين والغربة في الشعر العربي ليحي الجبوري، والاغتراب والحنين في الشعر المهجريّ لمحمد موسى الزين، والحنين والغربة إلى الدّيار لمحمد عبد المنعم قباجة.

وقد جاءت هذه المقدمة مقسمة إلى: مدخل وثلاثة فصول وخاتمة؛ تناولت في المدخل مفهوم الأدب المهجريّ وشعراء المهجر ومعنى الاغتراب والحنين في اللّغة والاصطلاح، أمّا الفصل الأول فتحدّث عن السيرة الذّاتية لإيليا أبو ماضي متمثلة في مولده ونشأته ومؤلّفاته وكتاباته. وتطرّقت في الفصل الثاني بالحديث عن تجلّيات الاغتراب والحنين عند "إيليا أبو ماضي" عبر الكلام عن دواعي الغربة ومضامين الاغتراب والحنين في أشعاره. وكان الفصل الثالث والأخير عبارة عن تحليل لقصيدة من قصائد "إيليا أبو ماضي" التي نظمها في حبّ الوطن وهي قصيدة "وطن النّجوم".

وقد اعتمدت على المنهج الوصفيّ والنّفسي في إنجاز هذا البحث، فمنهج البحث هذا يقوم على استنتاج الظروف الموضوعية والنفسية والأحوال والأحداث التاريخية التي كوّنت أزمة الاغتراب عند الشاعر.

وقد اعتمدت في هذه الدراسة على مجموعة من المصادر والمراجع لعلّ أهمّها: قصة الأدب المهجريّ لعبد المنعم خفاجي، وأدب المهجر لعيسى النّاعوريّ، وأدب المهجر لعبد صابر الدّايم، وديوان إيليا أبو ماضي شرح وتقديم سامي الدّهان، إضافة إلى بعض الرّسائل الجامعية وبعض المواقع الإلكترونية.

أمّا مشكلة البحث التي واجهتني هي مشكلة الجانب التّطبيقيّ الخاص بشرح وتحليل القصيدة واستنتاج الخصائص الفنية في خطابه الشّعريّ.

المدخل: أدب المهجر : مصطلحات ومفاهيم

هاجرت جماعات من العرب، من سوريا ولبنان خاصّة في القرن التاسع عشر والقرن العشرين إلى العالم الجديد، أين أقاموا في كندا والولايات المتحدة وفي دول أمريكا الجنوبية، ومن بينها البرازيل والأرجنتين وشيلي وفنزويلا؛ ونقلوا اللغة العربية وآدابها إلى تلك المهاجر البعيدة، وأنشأ المهاجرون في تلك الديار النائية أدباً يعبّرون به عن مشاعرهم، وعواطفهم، ويتحدثون فيه عن غربتهم وحنينهم إلى أوطانهم، ويصفون فيه البلاد التي أقاموا فيها، ومظاهر الحضارة السائدة في حياة الناس هناك، كما يصفون فيه حياتهم وما تعرضوا له من عناء وشقاء وتجارب مريرة مثيرة.[1]

وكان أدبهم هذا هو الأدب المهجري، الذي أصبح مدرسة أدبية كبرى، بين مدارس الأدب الحديث ومذاهبه، وعُني به الأدباء والنقاد، وكُتِب حوله وحول أعلامه في النثر والقصة والمسرحية والشعر الكثير من البحوث والدراسات.[2]

وقد تناول الأدب المهجري الحياة في جميع مظاهرها ومشاهدها، ومن شتى جوانبها وتياراتها وفلسفاتها، كما تناول مختلف ألوان النشاط الأدبي: من قصة ومقالة ونقد ونثر وشعر ومسرحية ومن فلسفة وحكمة وتجارب، ومن تأملات وحنين وأنين، وأمل وألم، وغناء وبكاء.[3]

ونوّه بالأدب المهجري "محمد لطفي جمعة والأمير مصطفى الشهابيّ، وخليل هنداوي، وأبو شادي، ومحمد مندور، والسحرتي، وخفاجيّ، ووديع فلسطين" وسواهم.[4]

---

[1]–ينظر: قصة الأدب المهجري، د.محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط3، 1970، ص 8.

[2]–ينظر: نشأة الأدب العربي في المهجر، د.رشدة المصري، بدون طبعة، بدون سنة طبع، PDF، ص 4.

[3]–ينظر: القصة السورية، دراسات في الأدب المهجري، لطفي حداد. موقع إلكتروني.

[4]–ينظر: قصة الأدب المهجري، محمد عبد المنعم خفاجي، ص 9.

إنّ الجذور الأساسية لأدب المهجر تضرب بأصالة في أعماق الأرض التي احتضنت البذور الفطرية الأولى لهذا الأدب، والتي آتت أكلها بعد ذلك طيبا حينما وطئت أقدامُهم أرضَ العالم الجديد؛ حيث تعددت الروافد التي غذّت أدب هؤلاء المبدعين في مهاجرهم، والأرض هي سوريا ولبنان. وكانتا خاضعتين للحكم العثماني، ورأت الدولة العثمانية أنّ خير وسيلة لإضعاف لبنان، وإخضاعه لسيطرتها، هي إثارة الفتن بين سكانه.[1]

وأكثر المهاجرين من العالم العربي إلى أرض العالم الجديد كانوا من أبناء سوريا ولبنان، وقد دفعتهم إلى هذه الهجرة عوامل كثيرة.[2]

فأول هذه العوامل هو العامل السياسي؛ إذ كانت سوريا ولبنان خاضعتين في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين للحكم العثماني الفردي الجائر، الذي تضطهد فيه الحريات، وتوأد فيه الكرامات ويُساق الناس فيه إلى السجون والمعتقلات.

وثانيها هو العامل الاقتصادي في ربوع سوريا ولبنان آنذاك، حيث الفقر والشقاء وإهمال الزراعة والصناعة.

وثالثها بواعث تاريخية قديمة، فالسوري واللبناني مولعان من قديم بالهجرة وحبّ السعي في الأرض والاغتراب وركوب البحار وحياة العمل والتجارة، وهما من سلالة الفينيقيين الذين ركبوا البحر وجابوا البلاد.[3]

ولذا اضطر كثير من أبناء البلاد إلى تركها إلى المهاجر في مصر وأستراليا والأمريكيتين. وكانت الهجرة فرارا من واقع أليم جثم على صدر الأحرار، والتماساً لواقع جديد يتنفسون فيه بحرية ويحلمون أحلامهم التي وئدت في غياب الجور والطغيان السياسي.[1]

---

[1]–ينظر: أدب المهجر، دار صابر عبد الدايم، دراسة تأصيلية تحليلية لأبعاد التجربة التأملية، في الأدب المهجري، ط1، 1993، دار المعارف، القاهرة، ص 10.

[2]–ينظر: أدبنا وأدباؤنا، جورج صيدح، دار العلم للملايين، ط4، 1999، ص 32.

[3]–ينظر: قصة الأدب المهجري، محمد عبد المنعم خفاجي، ص 13–14.

يقول "نسيب عريضة"[2] في قصيدته "حكاية مهاجر سوريّ":

غريبا في بلاد الشّرق جئتُ بعيدا عن حمى الأحباب عشتُ

اتخذت أمريكا وطنا عزيزًا فكانت لي كأحسن ما اتخـذتُ

أتاها للغنى غيري وإنـّي كما جاؤوا مع الإقدام جئـتُ

ولكنّي طلبت بها حيـاة مع الحريّة المثلى فنلـتُ[3]

ومصطلح الأدب المهجريّ يدل على الأدب الذي كتبه المهاجرون اللبنانيون والسوريون في القارة الأمريكية، باللغة العربية خصوصا في الرّبع الأخير من القرن التّاسع عشر والنّصف الأول من القرن العشرين، فهو لا يشمل كتابات المهاجرين اللّبنانيين في مصر (خليل مطران، جورجي زيدان، يعقوب صروف، الخ....) لأنها لم تخرج عن الجوّ العربيّ، ولاسيما في فرنسا (جورج شحادة، خليل غانم، الخ....) حيث لم تكن باللغة العربية، ولا في أستراليا (نعيم خوري، وديع سعادة، فؤاد نعمان الخوريّ، الخ....) لأنها حديثة العهد.

ولا يشمل مصطلح الأدب المهجريّ الروايات العربية التي صدرت في النصف الأول من القرن العشرين وصوّرت حياة الكتاب في الغرب، مثل: "أديب" لطه حسين، "عصفور من الشّرق" لتوفيق الحكيم، "قنديل أمّ هاشم" ليحى حقّي...؛ لأن معظم الذين كتبوا من

---

[1]–ينظر: الشعر العربي في المهجر، أمريكا الشمالية، د.إحسان عباس، دار صادر للطباعة والنشر، ط1، 1957، م1، ص 18.

[2]- **نسيب عريضة [1887-1946]** شاعر وقاص سوري، ولد في حمص وهاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام1905 م، حيث عمل محرراً في بعض الصحف العربية. أسس مطبعة وأصدر مجلة "الفنون" عام1912 م .كان أحد مؤسسي الرابطة القلمية في نيويورك عام 1920 م، وقد ضمت هذه الرابطة كثيراً من أدباء المهجر في أميركا الشمالية. نشر عدة مقالات، وترجم عدة كتب عن الروسية .أبرز دواوينه : "الأرواح الحائرة"، الذي توفي قبل أربعة أيام من صدوره. له قصتان: "الصمصامة" و"ديك الجن الحمصي.". من موسوعة ويكيبيديا.

3–ينظر: ديوان الأرواح الحائرة نسيب عريضة، دار العودة، عمان، الأردن، ط.2، 1992، ص 268.

الطلاب الجامعيين المحكومين بالعودة إلى بلادهم بعد إكمال دراستهم، فلم يكونوا من المهاجرين بل من الموفدين للدراسة.[1]

وحين نتتبع مسيرة الهجرة ومواكب المهاجرين في شيء من الإيجاز، نرى أنّ الهجرة بدأت أولا إلى أمريكا الشمالية، ولم يتجه المهاجرون إلى جنوبها إلاّ بعد وصولهم إلى الشمال بنحو عشرين عاما. وكانت لهم أوّل الأمر مراكز للتجمّع يلتقون فيها ثم يتزاحمون بعد ذلك في المدن والضواحي والقرى الأخرى.[2]

إنّ المهجريين آمنوا بأنه لابد من روابط تجمع شملهم وعنها تصدر أعمالهم الإبداعية فكوّنوا الروابط الأدبية وأشهرها رابطتان:

أ- الرابطة القلمية في الشمال.

ب- الرابطة الأندلسية في الجنوب.

1. الرابطـة القلميـة:

في أبريل 1920 التقت جماعة من أدباء المهجر في أمريكا الشّمالية حول فكرة واحدة: هي ضرورة إنشاء رابطة تؤكد جهودهم وتكتل قواهم، وقد أطلقوا عليها اسم الرابطة القلميّة. واتّضح اتجاهها الأدبي الذي يبحث فيما وراء الأشياء ولا يكتفي بالقشور في الشعار الذي قام بتصميمه "جبران خليل جبران" ووضع معه هذه العبارة "**لله كنوز تحت العرش مفاتيحها ألسنة الشّعراء**". وأعلنوا رأيهم في الأدب حينما قالوا: "الأدب هو الذي يستمدّ غذاءه من تجربة الحياة، والأديب هو الذي خصّ برقّة الحسّ ودقة التفكير وبعد النظر في تموّجات الحياة وتقلباتها".

وبمقدرة البيان عما تحدثه في نفسه من التأثير. ولقد أحدثت الرابطة القلمية تأثيرا كبيرا في نهضة الشعر العربي في المهجر، كما أحدثت ثورة عارمة في أنصار القديم عليها. وعن

[1]-ينظر: أدباء المهجر وأزمة الانشطار الروحي، لطفي زيتوني، ص 5.

[2]-ينظر: نادرة سراج، شعراء الرابطة القلمية، ط3، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1989. ص 72.

الرابطة القلمية صدرت الأعمال الأدبية التي توضح إلى حدّ بعيد مدى إغراق المهجريين في التأمل في كل مجالات الوجود وما وراءه والنفس الإنسانية، وقيم الحياة من خير وشرّ وحبّ وبغض.

وقد ظلت الرابطة إلى عام 1931 ثم تبعثرت بوفاة جبران ثم رشيد ونسيب عريضة وغيرهم وبعودة ميخائيل نعيمة إلى لبنان.[1]

2. العصبة الأندلسية:

كان قيامها في سان باولو سنة 1933 وكان صاحب فكرة إنشائها "شكر الله الجليّ" الذي وجد عند ميشال معلوف الاستعداد للتنفيذ لتقوم العصبة مقام الرابطة التي انفضّت من الشمال، وقامت هذه العصبة لتجدد طبيعة الشعر العربيّ ولكن في هدوء وفي غير عنف أو ثورة. كما أنها لم تجعل من أهدافها قطع الصلة تماما بين الشعر الحديث والشعر العربي القديم، بل كانت على العكس راغبة في بقاء شيء من القديم يصل الماضي بالحاضر ولا يقطع العرب المحدثين عن التّراث الفكريّ لآبائهم الأقدمين.[2]

ومن أعضاء العصبة البارزين "فوزي المعلوف، وإلياس فرحات، والقروي، وشكر الله الجليّ، وكان لهذه العصبة دور في التأمل وإن يكن مخالفا لمنهج الرابطة القلمية. فبينما كان طابع الشماليين التأمل والحيرة، كان طابع الجنوبيين الدعوة إلى تعميق الإحساس القوميّ والحنين إلى أرض الوطن والتفاخر بالمآثر.[3]

---

[1]–ينظر: أدب المهجر، د.صابر عبد الدايم، ص 17–18.

[2]–ينظر: التجديد في المهجر، محمد مصطفى هدارة، دار الفكر العربيّ، ط1، ص 52.

[3]–ينظر: أدب المهجر، د.صابر عبد الدايم، ص 19.

*شعراء المهجر: أو مدرسة المهجر، وهم شعراء عرب عاشوا ونظموا شعرهم وكتباتهم في البلاد التي هاجروا إليها وعاشوا فيها ويُطلق اسم شعراء المهجر عادة على نخبة من أهل الشام وخاصة اللبنانيين.

وتأثّر الشعراء المهجريون بالآداب العربية القديمة والحديثة، خاصة بمدرسة الديوان التي تأثر بها ميخائيل نعيمة، كما تأثر بعض المهجريين بشعراء مدرسة أبولو وأثروا فيها أيضا، وبالأدباء العرب الكبار من المدرسة الكلاسيكية الجديدة ومن بينهم شوقي وحافظ ومحرم، والزّهاويّ والنصافي وطه حسين، وغيرهم.

وكان للخيام والمعرّي تأثير كبير في شاعريتهم وشعرهم، وقد عارض الكثير من شعراء المهجر* قصائد عربية قديمة وحديثة، ونزحوا نحو المعارضة والاحتذاء والتقليد في كثير من شعرهم، كما فعل رشيد أيّوب في معارضته لقصيدة الحصريّ الدالتية المشهورة:

يا ليل الصّبا متى غـدُهُ أقيّامُ السّاعة موعـدُهُ

واستظهر المهجريون الثقافات الأجنبية، وأحاطوا بدقائقها وخاصة الثقافة الأمريكية؛ وألمّوا باللّغتين الإنجليزية والاسبانية فوق لغتهم العربية، ولقد كان حظّ شعراء المهجر من الانتفاع بالشعر الأمريكيّ غير قليل؛ إلاّ أنّ شعرهم في هذه الناحية يكاد يكون إلى الترجمة الخالصة أقرب منه إلى التوليد والتجديد... وإذا كان لهم فكر ذاتيّ مستقل في بعض الأحيان، إلاّ أنهم غلب عليهم كما يقول "عزيز أباظة" في مقدمة "الشعر العربي والآراء التي لا يصعب على شاعر الاهتداء إليها ويكاد يكون كلام "محمد عبد الغني حسن" ردّا على ذلك، حيث يؤكد اهتمام المهجريين بالتجديد في المعاني. ويقول: "**إنّ المعاني استهوت شعراء المهجر**".[1]

وكانت فلسفة شعراء المهجر أمشاجا من فلسفة الشرق والغرب.[2]

حتّى ليقول إيليا أبو ماضي:

أنا في نيويورك بالجسم وبا الرّوح في الشّرق على تلك الهضابِ

[1]–ينظر: قصة الأدب المهجريّ، عبد المنعم خفاجيّ، ص 292.

[2]–ينظر: الشعر العربي في المهجر، محمد عب الغني وحسن، تصدير عزيز أباظة، مؤسسة الخانجي، القاهرة، ط1، 1955، ص 62.

أنا في الغوطة زهر ونـدى أنا في لبنان نجووى وتصابــي

هنا وقف الشعراء المهجريّون بين روح الشرق والغرب موقف المؤمن بتراثه المعتزّ أيضا بما يعتزّ به الغرب من قيم ومُثل، وكانوا ترجمانا لالتقاء الشرق بالغرب، وجسرا عبرت عليه روح الغرب إلى الشرق.

وقد أخذ المهجريون من الشعوب الجديدة الذين هاجروا إليهم، وأقاموا بينهم الكثير من معاني الحرية والدعوة إلى الإخاء والمساواة.

وقد نظم المهجريون القصة الشعرية، وأوضح مثال لذلك شاعرنا "إيليا أبو ماضي" ومن مثل القصص الشّعريّ في شعره قصيدة "الشاعر والسلطان الحائر"، ولفرحات قصة شعرية بعنوان "كل حر في دولة الظالم جان"....

كما نظم الشعراء المهجريون كثيرا من الأساطير والخرافات والحكايات التي احتذوا فيها حذو "لا فونتين"، و"إيسوب". وكثُرت في شعرهم الرّحلات الخياليّة إلى السّماء أو إلى العالم الآخر، كما نجد في ملحمة "على بساط الرّيح" لفوزي المعلوف.[1]

وقد نظم بعض المهجريين في الشعر الحرّ وزعيمهم في ذلك هو "جبران"؛ وأدى نظمهم منه إلى محاولاتهم للانفلات من القيود الشعرية، وساق ذلك بعضهم في تيّار من ارتكاب الضرورات التي لا يلجأ إليها الشعراء المحافظون إلاّ كارهين، وعدم المبالاة، ومن التّوسّع العروضيّ، مثل توسعهم اللغويّ.[2]

ما أشقى النازح المغترب وصدره يشتعل بنار الحنين، ويمتلئ الشعر المهجري بعاطفة المغتربين نحو وطنهم، وحنينهم الدائم للعودة إليه؛ ففي نفس كل شاعر مهجري حنين لا ينقطع وشوق لا ينفذه وتطلع دائم نحو أرض الطفولة ومهد الذكريات.

---

[1]–ينظر: قصة الأدب المهجري، عبد المنعم خفاجي، ص 304.

[2]– المصدر نفسه، ص328.

وحتى أولئك الذين أقصتهم عن الوطن سياطُ الألم، وقسوة الزمان، ودفعت بهم ظلمة اليأس والبؤس إلى أرض سخية العطاء، وحتى أولئك الذين استبدلوا عبودية بحرية، وأفئدتهم، وما أصدق ما يقول شوقي:

وطني لو شُغلت بالخلد عنـه نازعتني إليه في الخلد نفسي[1]

وشعراء المهجر كم تأجّجت في صدورهم نار الحبّ لأوطانهم وعروبتهم، وكم نظموا الشعر في الوطنية والوطن. وكما أكثروا من التأملات والتساؤل عن سرّ الحياة وكثير في شعرهم الأنين والحنين، والحيرة والشّكّ، والألم والأمل حتى ليكون ذلك من أهمّ خصائصه.[2]

والمهجريّون يؤمنون بالتّجديد في الشعر، ويرون الشعر صورا شعرية حية متحركة نابضة بالحياة، وموسيقى متوثبة رفاقه تحرك كل شيء في عقل الإنسان وفكره، ومعاني جميلة بديعية لا يطغى عليها الأسلوب.

ويمثل رأي المهجريين في "التّجديد في الشعر" قول شعراء الرابطة القلمية: "إنّ هذه الروح والتقليد إلى دور الابتكار في جميل الأساليب والمعاني، لحرية في نظرنا بكل تنشيط ومؤازرة، فهي أمل اليوم وركن الغد". وعناية المهجريين بالصياغة والأسلوب واضحة في شعرهم تمام الوضوح.[3]

ولقد عانى الإنسان العربيّ بعامة والمثقف بخاصة من الاغتراب منذ نهاية القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين، وتراوحت ردود فعله بين الانسحاب من الواقع إلى هامش الحياة، أو الرّضوخ للنظام القائم والاندماج في مؤسساته أو التمرد بنوعه الفردي والجماعي أو الهجرة إلى الخارج بحثا عن واقع آمن.

---

[1]–ينظر: قصة الأدب المهجريّ، عبد المنعم خفاجيّ، ص 329.

[2]–ينظر: المغتربون، عبد اللطيف اليونس، مطبعة العرفان، صيدا، 1964، ص 168.

[3]–ينظر: قصة الأدب المهجري، عبد المنعم خفاجيّ، ص 328.

ومن هنا نجد شعراء المهجر أنفسهم في عالم جديد تراجعت فيه المثل الاجتماعية، وافتقدت أواصر الحب الإنسانيّ الذين يتشوقون إليه. فعاشوا اغتراب اللسان؛ لأن العالم الجديد يختلف عنهم في العرق والجنس واللغة والثقافة والتقاليد، والاغتراب المكاني الاجتماعي وهو مفارقة الوطن والمجتمع اللذين ارتبط بهما الفرد ارتباطا عاطفيا منذ ولادته، حتى غدا منتميا لهما أشد الانتماء وهذا الارتباط يظهر في حالة الابتعاد عن الوطن.

فالإنسان الذي يبتعد عن وطنه ومجتمعه يشعر بحنين إليهما، ويظلّ مرتبطا بهما روحا وفكرا.[1]

- **الاغتراب من الناحية اللغوية:**

إنّ مقابل كلمة الاغتراب والغربة في اللغة الإنجليزية Alienation والفرنسية Aliénation وأصلها من الكلمة اللاتينية Alienatio، ويشير الاغتراب في تلك اللغات إلى حالة تحول الكائن إلى خارج ذاته، أو تجاوز ذاته، وقد استخدمت كلمة "الاغتراب" في العلاقات الإنسانية لتدل على الإحساس الذّاتي بالغربة أو الانسلاخ Détachement سواء عن الذات أو عن الآخر.[2]

والغربة والاغتراب في المعجمات العربية تدل على النزوح عن الوطن أو البعد أو الانفصال عن الآخر.

واغترب الرجل: نكح وتزوّج إلى غير أقاربه.[3]

و غُربة تدل على النّوى والبعد؛ فالغريب هو البعيد عن وطنه، والجمع غرباء.

---

[1]–ينظر: الاغتراب والحنين في الشعر المهجري، بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه الفلسفة في الأدب العربيّ، إعداد محمد البلونة موسى الزين، إشراف المهدي مأمون أبشر، 2010، ص 45.

[2]–ينظر: دراسات في سيكولوجية الاغتراب، عبد اللطيف محمد خليفة، دار غريب، القاهرة، 2003، ص 23.

[3]–ينظر: لسان العرب، ابن منظور، المجلد1، بيروت، لبنان، ط2، 1994، ص 638.

و**أغرب**: صار غريبا والتّغريب: النفي عن البلد.[1]

والغربة والغروب: النّزوح عن الوطن، ومنه الفعل اغترب يغترب أي نزح عن الوطن.[2]

ورجل غريب: ليس من القوم، والغريب في الكلام[3].

إنّ تتبع اللفظ في المعاجم العربية يشير إلى أنه مشتق من الفعل "غرب، يغربُ" بمعنى غاب واختفى وتوارى وتنحّى وبعد عن وطنه إذ جاء لفظ الاغتراب في المعاجم العربية بمعنى الغُربة عن الوطن. فقد أشار "الفراهيدي" إلى هذا المعنى بقوله: الغُربة: الاغتراب عن الوطن، وغَرَب فلان عنّا أي تنحّى وأغربْتُهُ وغرّبته أي نحّيْتُهُ.[4]

- **الاغتراب في الفكر الغربيّ:**

شغل موضوع "الاغتراب" الجانب الأكبر من اهتمامات الأدباء والمفكّرين والفلاسفة والأنثروبولوجيين، إذ نجده قد زاحم المصطلحات في كتب النقد والأدب وعلم النفس، فظهر موضوعا أساسيا في كثير من الأعمال الأدبيّة، فهو ظاهرة إنسانية وجدت نفسها في مختلف أنماط الحياة وفي أغلب الثقافات التي بناها الإنسان.[5]

ويعدّ "هيجل" من أبرز الفلاسفة المحدثين الذين أولوا موضوع "الاغتراب" أهمية كبيرة، إذ أنه أول من استخدم في فلسفته مصطلح الاغتراب استخداما منهجيّا مقصودا ومفصّلا[6]، إذ

---

[1]–نفسه، ص 638.

[2]–نفسه، ص 639.

[3]–ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، المجلد الرابع، بيروت، ط1، 1991، ص 421.

[4]–ينظر: كتاب العين، الخليل أحمد الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزوميّ، د.إبراهيم السامريّ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 41.

[5]–الاغتراب اصطلاحا ومفهوما وواقعا، قيس النوري، مجلة عالم الفكر، م.10، ع.1، الكويت، 1997، ص 3.

[6]–الاغتراب، محمود رجب، الإسكندرية، 1987، ص 9.

تعرّض له على نحو منهجيّ مفصّل في كتابه ظاهريات الروح عندما أفرد له بعنوان "الروح المغترب عن الحضارة". فالاغتراب عنده عملية تخارج الروح وتحققها في أضرب الحضارة المختلفة من دين إلى فن إلى سياسة إلى فلسفة وكذلك تحققها في الطبيعة بحيث تصير هذه الأشياء جميعها وكأنها أمور غريبة عن الروح.[1]

وبمعنى آخر يعتبر "هيجل" أنّ الاغتراب يعني انفصال الذّات الإنسانية ككيان روحي تنفصل عن وجودها ككائن اجتماعي.[2]

ويوضح "هورني" بأنّ الاغتراب يعبّر عما يعانيه الفرد من انفصال عن ذاته، حيث ينفصل الفرد عن مشاعره الخاصة ورغباته ومعتقداته وهو فقدان الإحساس بالوجود الفعال.[3]

- **الاغتراب في التراث العربيّ:**

يذهب البعض إلى أن الاغتراب أساسه دينيّ، إذ ورد في الموسوعة الفلسفية العربية أنّ دلالات الاغتراب تعود إلى الدّيانات السماوية الثلاث: اليهودية، والمسيحية، والإسلامية.[4]

إنّ موضوع "الاغتراب" من المواضيع التي عبّر عنها القرآن الكريم؛ إذ حملت معانيه آيات الذكر الحكيم معنى اغتراب الإنسان عن الله، واغتراب الإنسان عن الإنسان، فخروج آدم من الجنة وهبوطه إلى الأرض كان أول اغتراب له.[5]

---

[1]– مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم الجوزية، دار الكتاب العربي، 1996، ص 22.

[2]–ينظر: أزمة الهوية في المراهقة والحاجة للإرشاد النفسي، أبو بكر مرسي، ط1، مكتبة النهضة المصرية، 2002، ص 28.

[3]–ينظر: الاغتراب وعلاقته بالأمن النفسي لدى طلاب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، السعودية، رسالة ماجستير، عادل بن محمد العقيلي، 2004، ص 10.

[4]–ينظر: الاغتراب في الشعر العربي في القرن 7هـ، دراسة اجتماعية نفسية، الفلوجة، جامعة الأنبار، أحمد علي الفلاحي، ص 17.

[5]–ينظر: الاغتراب والعبقرية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط.1، ج.4، 2003، عادل الألوسي، ص 3.

كما ورد مصطلح الاغتراب في عدد من الأحاديث النبوية التي فيها امتدح لغربة أهل الإسلام. قال محمد صلّى الله عليه وسلّم في وصف اغتراب الإسلام والمسلمين: "بدا الإسلام غريبا وسيعود غريبا فطوبي للغرباء.[1]

وقد استخدم متصوفة الإسلام مصطلح "الاغتراب" وهو عندهم ظاهرة إيجابية، لأنهم وجدوا فيه الطمأنينة والسكينة.[2]

- **الاغتراب في علمي النفس والاجتماع:**

يرى كثير من علماء التحليل النفسي أمثال: "فرويد"، و"أريك فروم"، "وهورني" أنّ الاغتراب حالة نفسية يعاني أصحابها من الشعور بعدم الارتياح وعدم الاستقرار والقلق والشعور بالعزلة والضياع.[3] كما تتعدد الدراسات في علم النفس والاجتماع وتتسع بحيث يتخذ الاغتراب دلالات نفسية واجتماعية، فهو حالة سيكولوجية اجتماعية ناتجة عن تأثير الجماعة والأوضاع الاجتماعية في الفرد وصراع هذا الأخير مع محيطه.[4]

إذن فالاغتراب ظاهرة نفسية اجتماعية عامة تزايد الاهتمام بها في السنوات الأخيرة نظرا لأعراضها التي باتت تهدد الإنسان في مختلف مجالات حياته.[5]

---

[1]–ينظر: الاغتراب في الشعر العربيّ الحديث، رسالة دكتوراه، جامعة بلعباس، 2005، بنعلي قريش، ص 13.

[2]– ينظر: كشف الكربة في وصف أهل الغربة، ابن رجب الحنبليّ، مؤسسة الريان، الكويت، 1993، ص 27.

[3]– ينظر: المرجع نفسه، ص 40.

[4]– ينظر: الاغتراب في حكايات ألف ليلة وليلة، شريف بموسى عبد القادر، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، 2005، ص 5.

[5]–ينظر: الاغتراب، جديدي زليخة، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع.8، 2012، جامعة واد سوف، الجزائر، ص 15.

كما يشكل "الاغتراب" أكبر مشكلة لدى الإنسان عبر العصور المختلفة، وفي هذا العصر بالذات حيث انفصل الإنسان عن الإنسان في المكان وتباعد في الزّمان، فهو نمط من التجربة يعيش الإنسان المغترب من خلال هذه الظاهرة المرضية كشيء غريب، والاغتراب يشكل تنافرا بين الطبيعة الجوهرية للشخص المغترب ووضعه وسلوكه الفعليّ.[1]

وفي تعريف آخر لمفهوم الاغتراب يعني: تحوّل منتجات النشاط الإنسانيّ والاجتماعيّ إلى شيء مستقل ومتحكم فيه.[2]

أمّا "الحنين" فهو أمر متصل بالاغتراب، له معانيه ومفاهيمه التي اشترك فيها الإنسان والحيوان، وظاهرة "الحنين" و "الاغتراب" تعددت مفاهيمها في الشعر العربي منذ نشأته تبعا لمراحل التطور التي عاشها الإنسان العربي في العصر الحديث، وتناولها النقاد والمحدثون في مؤلفاتهم.

الحنين لغة:

الحنين من حنَّ، يحنُّ، حنينا: صوّت، والحنين بمعنى الصوت وبمعنى الشوق متقاربان بل متلازمان.

وحنّ عليه: عطف عليه، والحنان: العطف والرحمة، والحِنّة رقّة القلب، والحنان من صفات الله تعالى أي ذو الرّحمة والتّعطّف والحانة هي الناقة.[3]

ومن معاني الحنين والشوق وتوقان النفس، يقال: حنّ إليه واستحنّ إلى الشيء: اشتاق، وتحانّ القوم: اشتاق بعضهم إلى بعض، والمستحن؛ الذي استحنه الشوق إلى وطنه.[1]

---

[1] ينظر: درايسة محمود، الغربة في شعر حسن بكر الغزاوي، مجلة تشرين للدراسات العلمية والبحوث، م4، ع1، اللاذقة، 1992، ص 115.

[2] –ينظر: فكرة الاغتراب في الفكر العربيّ، خلفيات سحبان، مجلة أفكار، ع24، 1974، ص 40.

[3] –ينظر: لسان العرب، جمال الدين ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط.2، م1، 1994، ص 741.

وكلمة "التّحنان" تعني الحنان الشّديد وكلمة الحنون تعني الشفوق والحنّة والحنان: رقّة القلب.[2]

الحنين اصطلاحا:

هو انتقال بالذاكرة وبالذّائقة الفنية من زمان ومكان راهنين إلى زمان ومكان سالفين والحنين فيوض في الوجدان الذّاتي يقارن ما سلف بما يحدث، فتبرم في راهنية الراهن مفضلا عليها ما ضوّيه الماضي.[3]

ويعرّف "أحمد مختار" الحنين بأنه كآبة تأخذ النفس بسبب البعد عن الوطن، كآبة تحدثها الحسرة على ما فات. وبذلك يمكن القول بأنّ "الحنين" عاطفة جيّاشة وصادقة اتجاه ما افتقده الإنسان من مكان وأهل وزمان ومواقف والتعبير عن هذه العاطفة يكون بشتى الطرق.[4]

وعليه فالحنين ظاهرة إنسانية في نفوس البشر، وهي ليست بجديدة في الشعر المهجري، بل هي قديمة قدم الشعر العربيّ.

والغريب الذي يهزّه الحنين والشوق إلى وطنه، تذكره وتهيجه مثيرات تعصف به وتثير أشجانه، وتستدر عاطفته، وكثيرا ما تكون سببا لعذابه، فهي تذكرة بغربته، وبأحبابه وأهله وأوطانه.

---

[1]–ينظر: مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، تدقيق عصام فارس الحرستاني، دار عمارة، عمان، ط.9، 2005 ، ص 140.

[2]–ينظر: المعجم الوسيط، أحمد حسن الزيات، م.2، القاهرة، دار المعارف، 1980، ص 203.

[3]–ينظر: الغربة والحنين في الشعر الأندلسي، فاطمة طحطح، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1993، ص 7.

[4]–ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار، م1، عالم الكتب، القاهرة، ط.1، 2008، ص 574.

المبحث الأول: السّيرة الشّخصية "إيليا أبو ماضي".

يعتبر "إيليا أبو ماضي"، أحد أبرز شعراء المهجر الشّمالي، ومن أكبر الشّعراء العرب المعاصرين في القرن العشرين.[1]

ولد "إيليا أبو ماضي" وكان اسمه إيليا ضاهر أبو ماضي في قرية "المحيدثة" لبنان[2] وهي القرية القريبة من بكفيا[3] وهي القرية الوادعة النّائمة في أحضاء الجبل الأثم.[4]

أمّا العام الذي ولد فيه فهناك اختلاف واضح فيه وإن كان غالبية من كتب عنه أو تناوله بالدّراسة ذهب إلى أنّ العام الذي رأى فيه أبو ماضي النّور هو العام 1889[5].

كما ذكر ذلك "محمد عبد الغني حسن" في كتابه "الشّعر العربيّ في المهجر" أيضا "نادرة سراج" في كتابها القيّم "الرّابطة القلميّة"، وكذلك "عبد المنعم خفاجي" في كتابه "قصّة الأدب المهجريّ"، وأضف "فؤاد يس" في كتابه "الشّاعر المهاجر".[6]

أيضا يذهب "عيسى النّاعوريّ"، "إيليا أبو ماضي" رسول الشّعر العربيّ إلى أنّ جريدة السّائح، وهي التي كانت تعتبر النّاطق الرّسميّ باسم الرّابطة القلميّة التي كان أبو ماضي من أبرز أعضائها أن"إيليا أبو ماضي" ولد عام 1889.

---

[1]–ينظر : موسوعة أعلام الشّعر العربيّ الحديث، إيليا أبو ماضي شاعر الحنين....والأحزان، هاني الخيّر، دار رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، 2012، ص 7.

[2]–ينظر: شعر فلسفة الحياة، لإيليا أبو ماضي، محمد إحسان، ص 14.

[3]–ينظر: إيليا أبو ماضي رسول الشّعر العربيّ، عيسى النّاعوريّ، منشورات عويدات، بيروت، 1958، ص 375.

[4]–ينظر: الأعلام، قاموس التّراجم، خير الدّين الزّركليّ، دار العلم للملايين، ط3، 2002، ص 35.

[5]–ينظر: الأدب المهجريّ ورائده إيليا أوب ماضي، وليد مشوّح، موقع إلكتروني.

[6]–إيليا أبو ماضي، باعث الأمل ومفجر ينابيع التفاؤل، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، 1985، ص 60.

بينما يذهب الأستاذ "جورج صيدح" أنّ إيليا أبو ماضي ولد في عام 1891 في كتابه "أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية"، وكذلك يقدر "زهير ميرزا" هذا العام لمولد إيليا أبو ماضي في كتاب "إيليا شاعر المهجر الأكبر".[1]

أمّا "إيليا الحاوي" في كتابه "النّقد والأدب"، ذهب إلى أنّ إيليا ولد في المحيدثة بكفيا عام 1891.[2]

ولكن ومع كل هذه الاختلافات في سنة مولد إيليا أبو ماضي، فإنّ معظمهم يحدده بعام 1889.[3]

- **تعليمـه:**

وتلقّى دروسه الأولى في مدرسة البلدة مدرسة المحيدثة القائمة بجوار الكنيسة، وقد نشأ أبو ماضي في عائلة بسيطة الحال[4]، لذلك لم يستطع أن يدرس في قريته سوى الدّروس الابتدائية البسيطة، حين كان في السّابعة من عمره ليسرق العلم من مدرسة يديرها العلاّمة "الشّيخ إبراهيم المنذر" فيقف أمام نافذتها، ليستمع إلى شرح الدّروس، وحين لمس المعلّم شدّة رغبته في طلب العلم دعاه إلى دخول الصفّ بدون مقابل.[5]

---

[1]–ينظر: زهير ميرزا، إيليا شاعر المهجر الأكبر، ط2، 1963، ص 59.

[2]–ينظر: في النقد والأدب، إيليا الحاوي، ج4، الأدب المعاصر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط.5، 1986، ص 255.

[3]–ينظر: الموسوعة العلميّة، إيليا أبو ماضي، عزيز مرديين.

[4]–ينظر: إيليا أبو ماضي بين الشّرق والغرب، سالم المعوض، مؤسسة بوحسون للنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، 1997، ص 60.

[5]–ينظر: الشعر العربيّ في المهجر، محمد عبد الغنيّ حسن، ص 161.

- **صفاتـه:**

وقد وصف "إيليا أبو ماضي" بعض من عرفه، بقامته القصيرة، وجسه الضّامر، وعينيه البرّاقتين، وتميّز بحديثه الرّفيع الذي فيه معاني الشّعر بلهجة الحمانسيّة.[1]

واختلف الدّارسون في صفاته النّفسيّة، فعدّه بعضهم متفائلا مقبلا على الحياة، مبدّدا لآلامها، داعيا إلى المرد والابتسام، وقال بعضهم: "إنّه لا يمكن أن يعدّ من المتفائلين، بل هو متشائما أيضا، ولكن على غير طريقة جبران ونعيمة؛ فهو متشائم مرح، وهو أبيقوريّ، لا أدري في نظرته إلى الحياة".

وقد أحبّ المرأة وأعلى شأن الحبّ الخالص، وأحبّ النّاس جميعا، فكان في مقدمة شعراء النّزعة الإنسانيّة.[2]

إنّ المتتبّع لمسيرة إيليا أبو ماضي يجد أنّه لم يعش حياة طبيعيّة وذلك لترحاله من مكان إلى آخر منذ الصّغر.[3]

ولم يشر إلى سبب ترحاله. إذ اكتفى دارسوا حياته نذكر نشاطاته الثّقافية. وفي مصر أصدر ديوانه الأول تذكار الماضي.

وهو في مطلع العشرينات من عمره عام 1911. وهذا وإن دلّ على شيء فإنّه يدلّ على أنّ أبا ماضي يمتلك موهبة شعريّة مبكّرة.[4]

إلاّ أنّه لم يلبث في مصر طويلا، إذ هاجر منها إلى أمريكا عام 1916.[1]

---

[1]–ينظر: التّعريف بالشّاعر إيليا أبو ماضي، أماني عبد الهادي، جامعة المدينة العالمية، 2013.

[2]–ينظر: الموسوعة العليمة، إيليا أبو ماضي، عزيز مردين.

[3]–ينظر: مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد 11، العدد1، الحنين إلى الشّباب في ديوان الخمائل لإيليا أبو ماضي، غازي النّعيمي، 2011.

[4]–ينظر: الاتّجاهات والحركات في الشّعر العربيّ الحديث، سلمى الخضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط.2، 2007، ص 170.

ويبدو أنّ سبب هجرته من مصر أنه لم يتفوّق في العيش مع أبنائها، إذ لم تخلو فترة إقامته فيها من التّعب والمشاقّ.[2]

وإنّ المشاق التي لقاها الشّاعر في مسيرة حياته الطّويلة تعود إلى حساسيته المفرطة وطبيعة طبعه الرّوحاني الذي دفعه إلى الهروب من أرض الواقع الذي كان يعيش فيه إلى بيئة أخرى يمرح فيها بخياله الواسع وكذلك الجانب الاقتصادي القاسي آنذاك.[3]

هاجر عام 1912 إلى أمريكا الشّماليّة، وصل أوّلا إلى مدينة سيتيلياتي، وهناك عمل مع أخيه مراد في التّجارة، وتنقّل بعدها في الولايات المتّحدة إلى أن استقرّ في مدينة نيويورك عام 1916. وهناك نائبا لتحرير جريدة مرآة الغرب.[4]

تزوّج "دوروتي دياب" ابنة "نجيب دياب" الذي أصدر مرآة الغرب في الولايات المتّحدة، وله ثلاث أولاد هم: "ريتشارد، وإدوارد، وروربت".[5]

تعرّف إلى عظماء القلم، فأسّس مع جبران ونعيمة الرّابطة القلميّة، التي كانت أبرز مقوّمات الأدب العربيّ الحديث.

وفي 15 أفريل 1919، قام "إيليا أبوماضي" بإصدار أهمّ مجلّة عربيّة في المهجر وهي مجلّة السّمير التي تنبث الأقلام المغتربة، وقدّمت الشّعر الحديث على صفحاتها.[6]

---

[1]–أبو ماضي شاعر المهجر الأكبر، زهير ميرزا، ص 5.

[2]–نفسه، ص 5.

[3]–الحنين والغربة في الشّعر العربيّ الحديث، ماهر حسن فهمي، منشورات معهد البحوث والدراسات العربية، دمشق، 1970، ص 111.

[4]–الشّعراء العرب في القرن العشرين، عبد عون الرّضوان، الأهلية للنشر والتوزيع، ط.1، 2005، ص 162.

[5]–ينظر: شعراء النّهضة العربيّة، فالج الحجّية. موقع إلكتروني وكيبيديا الموسوعة الحرة.

[6]–ينظر: إيليا أبو ماضي، شاعر السّؤال والجمال، خليل برهومي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1، 1993، ص 36.

- **وفاتـه:**

توفّي إيليا أبو ماضي في أمريكا عام 1957 في الثّالث والعشرين من شهر نوفمبر، تاركا في قلوب إخوانه وأصدقائه حسرة وفي صدور القارئين ما يكسبه قلمه غصّة، وانطوت بموت هذا الشّاعر الفريدة صفحة مشرقة بالرّجاء والأمل.[1]

[1]–ينظر: إيليا أبو ماضي...باعث الأمل ومفجّرينا بيع التّفاؤل، ط.1، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، 1995، ص 115.

المبحث الثّاني: سيرة "إيليا أبو ماضي" الأدبيّة.

- **مؤلّفاتـه:**

ترك الشّاعر "إيليا أبو ماضي" عددا من الدّواوين هي:

1-تذكار الماضي:

ديوان صغير في مصر عام 1911 وأهداه الشّاعر إلى الأمّة المصريّة معبّرا عن حبّه لها وتعلّقه بها، ولم يضمّنه قصائده الوطنيّة النّقديّة، خوفا من السّلطة الحاكمة آنذاك، وقد بدأ فيه ضعيف اللغة، واضح التّقليد لأساليب الشّعراء شعراء العصر العبّاسي.

2- ديوان "إيليا أبو ماضي":

الجزء الثّاني، طُبع في مطبعة مرآة الغرب، نيويورك عام 1919، قدّم له الأديب المهجريّ >جبران خليل جبران" مثنيا على شاعريّته، ويشتمل على قصائد في موضوعات ذاتية ووطنيّة ووصفيّة، وقصصيّة، وقصائد مناسبات متعدّدة. طُبع هذا الدّيوان مرّة ثانية في دار اليقظة بدمشق عام 1954، ثم أعيد طبعه بعد أن ضمّ إليه تذكار الماضي في دار العودة، ثم اختارت دار العلم للملايين في بيروت تسعا وخمسين قصيدة منه ونشرتها بعنوان "تبر وتراب"مرات عدّة بين عامي 1960-1967 خصّت جزءا منها لشعر المناسبات بعنوان "تحيّة الشّاعر" وجزءا للمراثي بعنوان "دمعة الشّاعر"، وثالثا "الشّاعر في حفلات تكريمه".[1]

ويعدّ هذا الدّيوان مرحلة وسطى مرّ بها "أبو ماضي" متردّدا التّقليد والتّجديد قبل أن يبلغ أوجّ النّضج في ديوانيه التّاليين.[2]

[1]-ينظر: إيليا أبو ماضي...شاعر التّفاؤل والأمل، علي عبد الودود، موقع البوابة الإلكترونية، الوفد، 2011.

[2]-الموسوعة العلمية، إيليا أبو ماضي، عزيز مردين.

3-الجداول:

صدر كذلك في نيويورك عن مطبعة مرآة الغرب عام 1927 مع مقدمة الأديب المهجريّ "ميخائيل نعيمة" بارك فيها الشّاعر وشاعريّته، وقد خلا هذا الدّيوان من القصائد الوطنيّة وقصائد المناسبات، إلاّ نادرا، واشتمل في معظمه على قصائد ذاتيّة وإنسانيّة تميّزت بطرافة صورها وأخيلتها وعذوبة أنغامها أشهرها: "الطّين"، "المساء"، "الطّلاسم".

ويعدّ هذا الدّيوان مرحلة تطوّر وتحوّل في شعر أبي ماضي ونضجه من حيث جدّة الموضوعات، وتوازن المبنى والمعنى، والعناية بالقوافي.....

4-الخمائل:

صدر أوّلا في نيويورك عن مطبعة مرآة كالغرب عام 1940، ثم طّبع في لبنان، دار صادر، يعدّ الخمائل امتدادا للجداول من حيث الأسلوب والفكر والموضوعات التأمّليّة والإنسانيّة، وتنويع الأوزان والقوافي، إلاّ أنّ الإلحاح فيه على الدّعوة إلى التّفاؤل والتّمتّع بالحياة أشدّ وواضح، كما في قصائده: "عش للجمال"، "ابتسم"، "كن بلسما"، "كم تشتكي"، وفيه مطولتان: "الشاعر والملك الحائر"، "الأسطورة الأزليّة". وقد عالج الشّعر القومي في بعض قصائده ومنها قصيدة فلسطين.[1]

- **ثقافتـه:**

إذا أبينا أن نعلم شيئا ثقافة الشّاعر "إيليا أبو ماضي" لم نجد من المصادر بين يدينا إلاّ شعره، فهو وحده الذي يدلنا على منابع ثقافته، ولا بدّلنا أن نستقرئ شعره وممّا لا ريب فيه أنّ ثقافته تختلف من سنّ إلى سنّ.

[1]-شاعر لبنان والمهجر، إيليا أبو ماضي، محمد فاروق الإمام، موقع رابطة أدباء الشام، 2009/04/16.

لم يبتدع إيليا أبو ماضي أيّة مدرسة من مدارس الشّعر ولم ينسج على منوال متفرّد وإنّها جرى في حلبة المقلدين وجاربهم في تقليدهم حتى أصدر ديوانه الأول "تذكار الماضي" عام 1911م، حينما كان سنّ الشّاعر اثنا وعشرين عاما، ويشمل القصائد التي نظمها في مصر.[1]

وقد زادت ثقافته الأدبيّة بكثرة اطّلاعه على آثار كل من "المتنبّي" و "المعرّي" و "أبي نوّاس"، وكان أهمّ شاعر يعجبه هو "عمر الخيام" الذي قرأ رباعيته التي أثرت في قلبه تأثيرا عميقا، فكثر من أفكار تجري في شعره وأننا لنجد عنده كل ما ينادي به "عمر الخيام" من المتاع بملذّات الحياة قبل غروبها إلى التّملي من الجدول وأريج الأزهار.[2]

اشترك أبو ماضي في الرّابطة القلميّة برياسة "جبران" وأصبح أحد أعضائها منذ نشأتها عام 1920م، وشعراء الرّابطة بالشّمال كانوا ثورة على الشّعر التّقليديّ الذي قد بلغ ذروته عند "شوقي" و "حافظ" و "مطران" في مصر، و"اليازجي" في لبنان، و"الزّصافي" و "الزّهاويّ" في العراق. عندهم الفنّ الشعريّ مفهومه الجديد وهو التّعبير عن الحياة ومشكلاتها من خلال الذّات (اليوميّة) البشريّة تعبيرا جميلا موحيا.[3]

وبجانب مشاركته مع أعضاء الرّابطة القلميّة "فأبو ماضي" أصدر مجلّة "السّمير" في نيويورك، واتّخذ مكتبا له في شارع واشنطن وكانت من أوسع الصدف انتشارا في المهجر بدأت شهرية ثم تحولت إلى نصف شهرية ثم إلى يومية.[4]

- **كتاباتـه:**

[1]–ينظر: زهير ميرزا، إيليا أبو ماضي شاعر المهجر الأكبر، دمشق، دار اليقظة العربيّة، 1963، ص 102.

[2]–ينظر: عبد الحكيم بيلع، دراسات في الشعر المهجري، القاهرة، كلية دار العلوم، 1967، ص 6.

[3]–نفس المصدر، ص 6.

[4]–نفس المصدر، ص 7.

عرف أبو ماضي شاعرا كبيرا تسير أبياته على ألسنة النّاس، غير أنّ له فضلا عن ذلك كتابات نثريّة مختلفة من غير المنطقيّ المعقول أنّ الرّجل قد كتب في أمور مختلفة نظرا لممارسته العمل الصّحفيّ، الأدبيّ، الاجتماعيّ، والسّيّاسي، كما مرّ معنا في صحف مختلفة، أهمّها "مرآة الغرب" والسّمير، والذي يُطلع "السّمير" يجد فيه ألوانا عديدة من العمل الأدبي والصّحفيّ، ويظهر أنّ لأبي ماصي ميلا إلى القصص، وليست هنا في مجال الكلام عن قصائده التي يحمل بعضها طابعا قصصيا، بل على كتاباته النّثريّة ولعلّ هذا الميل إلى القصص يكاد يكون محصورا في معالجة الأمور الاجتماعيّة.[1]

وكتاباته هذه ليست في عداد القصّة القصيدة في معناها الحديث لكنّها تتراوح بين الحكاية والسّرد القصصيّ الذي يحمل من المعاني الاجتماعيّة والأهداف الإصلاحيّة شيئا كثيرا، فهو في "حكاية مهاجر" يحصل بشدة على الذين يتنكّرون لوطنهم الأول، على الرّغم من إكباره لأمريكا، الوطن الثّاني، ويسرد لنا قصّة ثرى من بلاد تناسي بلاده، وعاش حياة أمريكية خالصة محاولا تناسي كل ما يذكّه بماضيه، إلى أن عاد فاكتشف في نهاية أمره أنّه وهب شبابه غريبة فعاد إلى "لبنان" شبحا متعبا، ليدفن في نفسه ميزة القدرة على خلق الضّحك من المناظر المؤلمة، وقد رفض أن ينادى بها باسمه القديم واستدلّ به اسما أمريكيّا، وكأن يصوّره لنا وهو يسخر من كل شيء في بلاده، بطريقة يمثل لنا فيها عباوته المتفلسفة.[2]

أمّا وسائل كتاباته فتنقسم إلى:

1. مقالات وجدانيّة (شعر منثور).
2. مقالات اجتماعيّة (شعر منثور).
3. مقالات اجتماعيّة.

[1]–ينظر: إيليا أبو ماضي، جورج استيفانوس حجا، بيروت، 1920، ص 12.

[2]–السّمير، العدد2، المجلد2، السنة 1930، ص 49.

4. مقالات فكريّة في القيم.

5. مقالات نقديّة.

1-الشّعر المنثور (المقالات الوجدانيّة):

لأبي ماضي قطع يبدو فيها تأثره بجبران أسلوبا وروحا، ففي "الرّجل المجهول"[1]، وهي قطعة طويلة وحملة مرة ساخرة على المجتمع وعلى المدينة التي تزهق فيها الكرامات، فيصوّر آلام النّاس وعذابهم والقطعة تحوي نفسا شعريّا ممّا يجعلنا نعتبرها في عداد الشّعر المنثور، هذا النّوع من الكتابة الذي ورد عند أبي ماضي في أمثلة قليلة، أفضلها "صلاتي في الجبل" وهي قطعة وجدانيّة ابتهاليّة نلمح "جبران" بكلّ وضوح من خلالها.

2-المقالات الاجتماعيّة:

واهتمام أبي ماضي بأمور مجتمع يصل به إلى معالجة شؤون تجار مواطنيه، فيدخل النّظرة الاجتماعية في صلب مشكلاتهم الاقتصاديّة التّجارية فيقول "في الدّاء والدّواء"[2].

والواقع أنّ أب ماضي من أكبر شعراء العربيّة تحسبا باجتماعيّة الإنسان وإيمانا بأنّ ما من شيء يمكن أن يعبّر مستقلاّ بذاته، أنّ الأشياء والأحياء، صغيرها وكبيرها، مكمل بعضه الآخر فمهما كان هذا الجزء صغيرا أو كان ذاك حقيرا فإن له من القيمة في المجموع ما يجعله ذا أهميّة كبرى، فهو في مقال "معظم النّار"[3] مثلا يبحث عن تشابك الحياة وقد أخلها كل صغير في الأشياء والأحياء قد يتعلق به مصير أشياء كثيرة.

[1]-السّمير، ج3، السنة الثالثة، ص 97.

[2]-السّمير، العدد الرابع، سنة 1929، ص 145.

[3]-السّمير، ج10، سنة 1932، ص 1-2.

3-المقالات الفكريّة:

هنالك مقال يشكّل جسرا بين مقالاته الاجتماعية وبين ما كتبه من مقالات فكريّة، وهو "ظهور الأرواح في بنان" أو هو بكلمة أخرى موضوع يبدأ اجتماعيا وينتهي فلسفيّا.

ولقد سكن أبو ماضي من هذا التّضليل فناقش موضوع الرّوح مقدّما آراء تدل على اطّلاعه على ما قيل في هذا الصّدد عند الغربيين والإسلاميين، ومن جملة ما جاء به في هذا الصدد عنده أنّه ليس هنالك برهان علميّ على مصير الأرواح أو جواب عمّا هي الرّوح، وما هو مركزها، ويبدو من هذا الكلام أنّ الشاعر على اطّلاع على الآراء المختلف في مصير الرّوح وطبيعتها، والبحث عن أمر الرّوح استغرق زمنا طويلا. كما أنّ البحث في طبيعتها ومركزها كان مجالا لآراء عديدة في الغرب.

وقد عالج الشاعر ذلك شعرا خاصة في "الطّلاسم" وفي القسم المسمّى "الفكر" فيها، حيث عرض آراء ونظريّات مختلفة في ذلك الموضوع.

4-القيـم:

أ. الحريّة:

وموضوع "الحريّة" بمعناها الفكريّ لا السّيّاسي، كان له نصيب وافر في كتاب أبي ماضي.[1]

"الحريّة سراب خداع، بل هي أكبر وهم في العالم، ولا يضحكني شيء مثل الاعتقاد أنّ المرء يولد حرّا كأنّ ما هو يأتي إلى العالم بملء إرادته....."

"الإنسان ليس أسير الحياة مادام في الحياة، فهو أسير نفسه أينما كان، ليس في الأرض حرية إنّما هناك سجن أوسع من سجن وأسر أوسع من أسن."

[1]-مقدمة "الطّلاسم" ونهايتها، الجداول، ص 139، وقصيدة الطّين، ص 39.

إنّنا ونحن نقرأ هذه الآراء، لانتهالك ذاكرتنا فنمنعها من أن نستحضر أسماء كثيرة، بدءا بالإسلاميين من تيسريين وتخييريين، مرورا "بجون" و "شوبنهاور"، فمن الأكيد أنّ أبا ماضي قد قرأ أشياء كثيرة كتبت في هذا القول بالحرّيّة يحاول أن يعطينا مفهومه الخاصّ لها في المثال نفسه فتراه يقول: "وإنّما نستطيع تعريف الحريّة التي نتصور وجودها فنقول إنّها حالة نفسيّة نسبيّة تتّسع وتضيق تبعا لمشتبهاتنا ورغباتنا وتبعد أو تقرب ذهابا مع حاجاتنا وميولنا....."."[1]

ب. المحبّة:

والمحبّة كلمة تغنّى بها "أبو ماضي" في شعره، وهي من الأشياء الدّائمة الثّابتة في نظره، ومن الأشياء الكبيرة، ومن المحبّة محبّة الوطن، فالحبّ الحقيقيّ لا يطالب مكافأة، ومحبّة الوطن كذلك فنراه يدخل في شيء من المصطلحات السّيّاسية، ليفهمنا أنّ الوطن ليس الدولة ولا الحكومة.

ويحاول أن يُفلسف موضوعا لمحبّة الوطن وأن يرسّي هذه المحبّة على أساس محبّة النّفس فيستطرد.

"حبّنا لأوطاننا يعني حبّنا لذاتنا وليس حبّ المرء لذاته رذيلة ولا أمرا منكرا كما يتوهّم الدّين يقولون من غير وتفكير في ذمّ الأنانيّ، هذا رجل يحبّ ذاته....."."
وهكذا ترى أبا ماضي كان اجتماعيا حتى في فرديّته.

5-نظريّته النّقديّة:

لأبي ماضي آراء مختلفة في الأدب والنّقد وهو في أكثر هذه الآراء منفتح على العالم وعلى العِلم والحضارة مع إيمان بالجذور التي انطلق منها، جذور تراثه العربيّ، وإيمانه بتراثه لا يمنعه من أن يكون علميا، يحاول المعرفة دون أن يقيّد نفسه بالرّأي السّائر والنّظريّات

[1]-ينظر: إيليا أبو ماضي، جورج اسفانوس، ص 16.

الشّائعة. ومثل ذلك ثورته على الملك "فؤاد" في ظلمه لأدباء مصر ومحاربتهم، ومنهم "العقّاد" و"حسين" وهو يدعو إلى محاربة التّقليد وإحياء تراثنا القديم، مع الإيمان بوجوب تبنّي النّفسيّة العلميّة الغربيّة.[1]

وهو يحمل على الّذين يتّهمون اللغة العربيّة بالقصور ويحرقونها ويدافع عنها: "....ثمّ إنّ لغة تتّسع من قبل لكل علم وفنّ وتنتشر في الأرض من مشرق الشّمس إلى مغربها ويفتن بها الغرباء عنها، ليست باللغة التي يجوز تحقيرها والازدراء عليها. إنّ الأمم هي التي توجد لغاتها كما توجد تقاليدها فإذا ضعفت لغة واندثرت فلأن أهلها هم الذين ضعفوا وتندثروا".[2] فاللغة إذن ليست قائمة بذاتها، إنّها نتيجة للرّقيّ والانحطاط الفكريّ، وهو في دفاعه عنها يحمّلها مسؤولية ولا يجعلها الحكم الأخير.

والنّقد عند أبي ماضي ليس شخصيا متحكّما لكنه خبرة راقية وثقافة ودرس. من السّهل على أيّ رجل أن ينظر إلى الماس فيقول: "إنّه ماس ولكن لا يعرف قيمة الحجر إلى خبير، وقلّما تجد خبيرا يصدر حكمه إلاّ بعد الفحص.

ليس الشّاعر إذن من دعاة الفوضى ولا هو ممّن يرفض المفهوم التّقليدي الأدبيّ، إنّه يريد النّقد تقييما، لا تفريط ولا تملّقا أو تحاملا.

والأدب عند "إيليا أبو ماضي" كما هو عند "نعيمة" تعبير عن الحياة بكل ما فيها من عظمة وحقارة، إنّه أدب الحياة، منها وإليها والأديب الحق هو الذي يعبر عن مختلف صور الحياة.

[1]–السّمير، العدد4، المجلد2، 1930، ص 1–4.

[2]–السّمير، العدد4، المجلد2، 1930، ص 145.

المبحث الثّالث: أغراض الشّعر عند "إيليا أبو ماضي".

1-الوطنيّ والقوميّ:

حفلت دواوين "إيليا أبو ماضي" بالشّعر الذي يعالج قضايا لبنان، ويتعلّق به كما فاض شعره حديثا عن القضايا الوطنيّة الكبرى، وكشف لألاعيب الاستعمار ولم يترك مجالا تمّت إلى هؤلاء من بعيد ولا من قريب إلاّ فاض فيه.

وقد هدف الشّاعر من ذلك إلى التّنديد بالظّالمين، وفضح فعلاتهم الشّنيعة؛ كما هدف إلى إثارة قومه لمحاربة هؤلاء، والذّوذ عن الوطن بالدّم والرّوح بكلّ ما يملكه المرء من وسائل، وفي ذلك تبصير وطنه شعبا والحكومة والعرب أجمعين.[1]

يقول في نحوى لبنان:

لا القيدُ تصيبني ولا الأقــداحُ مهما تعالة فيهما المجـاحُ

إنّي امروٌ كلفٌ بإدراك العُلَــى دأبي الجهادُ وغايتي الإصلاحُ

أهوى بلادي دانيا أو نائــيً أعلى في حُبّ البلاد حُنـاحُ؟

"لبنان" لستَ أبي ولستُ فتاكَ.....إنْ صرفتُ فؤادي عن هواك رداحُ

زعم العوازل أن سِلوتكَ وبحبّهمْ غير السّلو لمن أحبّــَحُ

ما إنْ هجرْتُكَ عن قلبي لكنّمـا قلبُ إلى نيلِ العُلى طمّـاحُ

"لبنانُ" حُبّي أنّني لكِ أنتمــي وكفاكِ أنّي البُلبلُ الصّــداحُ

أشدُّ بذكركَ ما بقيتُ، ومرْمقــي تجري به فوق الطَروسِ الدّاحُ[2]

---

[1]-ينظر: إيليا أبو ماضي، جورج ديمتري سليم، دار المعارف، ص 77.

[2]-ينظر: الخصائص الفنّيّة في شعر أبي ماضي، محمد علي، راسلة ماجستير، جامعة الأزهر، القاهرة، 1982، ص 450.

2-الشّعر الإنسانيّ:

انبثقت النّزعة الإنسانيّة قويّة عملاقة في أشعار "أبي ماضي" تدور حول العمل على إسعاد الإنسانيّة، كما تعمل على نشر ضلال السّعادة فوقها، وانتشالها من هذه الأمراض والعلل التي تفرّق وحدة الجماعة، وتميت شمل الأخوّة. وتسكن البغض في القلوب....وتهيئ لنيران الكراهيّة، بما في ذلك من صفات مذمومة تثير البغض بين الأفراد.

ولهذا أخذ أبو ماضي يجعل جاهدا على خلق أرض جيّدة التّربة في مجتمع يتنسّم أهله السّعادة من خلال علاقاتهم الطّيّبة وتحقّق أمانيهم المرجوّة.وقد حفلت أشعار أبو ماضي ومن ذلك: "فلسفة الحياة".

ويقول في فلسفة الحياة:

أبهذا الشّاكي وما بك داءُ..... كيف تغدو إذا غدوتَ عليلاَ؟

إنّ شرّ الجُناة في الأرض نفسٌ تتوقّى قبل الرّحيل، الرّحيلاَ

وترى الشّوكَ في الورود وتعمَى أن ترى فوقها النّدى إكليلاَ

هو عبءٌ على الحياة ثقيلُ من يظن الحياة عبئًا ثقيلاَ

والّذي نفسُهُ بغير جمالِ لا يرى في الوجود شيئًا جميلاَ

ليس أشْقى ممّن ترى العيش مُرّ ويظنّ اللّذّات فيه فضولاَ

أحكمُ النّاس في الحياة أُناسُ علّلوها فأحسنوا التّعليلاَ

فتمتّعْ بالصّبح مادمتَ فيه لا تخفْ أن يزولَ حتّى يزولاَ[1]

[1]-ينظر: فلسفة الحياة-بتصرف-مأخوذة من الدّيوان لإيليا أبو ماضي، ص 267.

3-الوصف:

تتفاوت أقدار الشّعراء في إظهار الصورة والتّعبير عنها بتفاوت قدراتهم الفنّية والثّقافية والشّعورية، وأبو ماضي أحد الشّعراء الذين وهبهم الله الإحساس.

ويتناول وصفه للطّبيعة التي اتّخذ الشّاعر منها قائدا وصديقا، ومتنفسا ومسليّا،....الخ.

يقول في الفراشة المحتضرة:

لو كان لي قلبي عند مـرْآكِ لما أضاف إلى بَلْواه بلْــواكِ

فيمّ ارْتجاجك هل في الجوّ زلزلة أم أنت هاربه من وجه فتّــاك؟

وكم تدورين حول البيت حائرةً بنتُ الرُّبى ليس مأوى النّاس ما أراد

قالوا فراشة حقل لا غناء بهـا ما أفقر النّاس في عيني وأغنــاك

سماء غاوية، أطوار شاعرةٌ على زُهادة عبادٍ ونُسّــكِ

حَلمتُ أنّ زمان الصّيف مُنصرم ويلاهُ ! حققّتِ الأيّام رؤيــاكِ[1]

4-القصص الشّعريّ:

جعل "أبو ماضي" من القصص الشعريّ مسرحيّا يسرح فيه خياله مع كل ما عن له من جوانب الحياة ينبعث فيها من كل شيء من وطنياته، ومن حنينه ومن عطائه، وكل ما يُعالج من أحوال المجتمع.

وقد اتّخذ مادّة قصصه من الواقع، أو الأساطير، أو متأثّرا بالقصص الأجنبيّ والقصّة عنده تأخذ طابعا خاصّا.

[1]-ينظر: إيليا أبو ماضي، جورج سليم، ص 226.

يقول في قصيدة الشّاعر والأمّة:

خيرُ ما يكتبه ذو مرقـمٍ قصّةٌ فيها لقومٍ تَذكرهُ

كان في ماضي اللّيالي أمّـةٌ خلع العِزّ عليها خبـرهُ

تجدُ النّازلَ في أكتافهَـا أوجُهًا ضاحكةً مستبشرةً

ويسيرُ الطّرف من أراضهَا في معانِ حالياتٍ نضرةٍ

لم يُقسْ شعبٌ إلى أمجادهَا مجدُهُ الباذخُ إلاّ استصغرهُ

همّها في العلم تعلى شأنـه بينـها، والجهل يمحو أثرهُ

ما تغيب الشّمس إلاّ أطلعتْ للورى محمدةً أو مأثرةً

فتمنّى الصّبح تغدو شمسهُ وتمنّى اللّيلّ تغذوا قمرهُ

ومشى الدّهر إليها طائعًا فمشت تائهةً مفتخـرةً

كان فيها ملكُ ذو فطنـةٍ حازمٌ يُصفح عند المقدرة

يعشقُ الأمر الذي تعشقُـهُ فإذا ما استنكرته استذكرَهُ

بلغتْ في عهدهِ مرتبــةً لم تنلها أمّة أو جمهرةٌ

فإذا أعطت ضعيفا موثقًـا أشفقتْ أعداؤهُ أن تفخرهُ[1]

[1]–الاتّجاهات الفنّيّة في شعر إيليا أبو ماضي، ص 467.

الرّثاء:

لأبي ماضي في هذا الشّأن تجارب كثيرة، عبّر من خلال بعضها عن عبير الوفاء والحبّ والإخلاص، وقد دعا رثاؤه حول الوطنيين أمثال: "مصطفى كامل"، والمصلحين أمثال: "محمد عبده"، والشّعراء الأوفياء أمثال: "مطران"، وأهل الأدب "كسليمان البستاني"، وإخوته وأبيه.....وبعض من كان على علاقة بهم ولهم يدٌ في المصالح العامّة للوطن وآله.[1]

وقد جاء في أشعاره المجهولة القصائد التّالية في الرّثاء:

- رثاء المطران أثناسيوس عطا الله.
- النّجمة الهاوية.
- رثاء سلمى.
- رثاء رشيد أيوب.
- رثاء إلياس عطا الله.
- رثاء نجلاء صباغ.

[1]–نفس المرجع، ص 462.

يقول في رثاء المطران أثناسيوس عطا الله:

"زُرت الحديقةَ في الضّحى لأرى الغصونَ المورقةَ

فإذا الطّيورَ صوامتُ، وإذا الأزاهرُ مُطرقــةٌ

****

وإذا النّسيم له أمينٌ كالجريحِ أو الطّعــنِ

ويْلاه من ذاك السّكوت، وآهُ من هذا الأنيـنِ

أنّنا سيوسْ، علّمتنا، ووعظتنا حيّا وميّتــا

أشرقت بإشراق الصّباح، ومثلما يُمضي مضيئا

الله بارك "حِمْصَ" حين سكنت في أرجائهـا

وِديانه قد كنت في دُنياك من رُؤسائهــا

****

كمْ مهمّة لليأس كنتُ به دليلُ التّائهينـا

كمْ حكومةً للبؤسِ كنتُ بها مَقيلَ العاثرينا

وقد كنتُ مِصباحا إليها يضيء لكلّ سارٍ

وقد انطفأَتْ فكلّنا للحزن يُعثرُ في النّهارِ[1]

[1]–ينظر: إيليا أبو ماضي، الأشعار المجهولة، جورج ديمتري سليم، ص 413.

5-الغزل:

جاء له شعر في هذا الباب غير قليل، عالج فيه قضيّة الحبّ معتمدا على حكمة نظرية بعيدة عن الجانب العمليّ، وقد أكثر الشّاعر من ذكر اسم خاصّ كرّره كثيرا في قصائده وهو "هند".

ومن قصائده المشهورة في هذا الباب: "أنا وهي، حكاية قديمة، ما للكواكب، المودّة، العيون السّود، الغابة المفقودة، لقاء وفراق، عيناك، أمّ لنا، هديّة العيد، أهلها عرب، يا جنّتي"[1].

يقول في قصيدة "**بلا قلب**":[2]

وقائلةً ماذا لقيتُ من الحـبِّ فقلتُ الرّدى والخوفِ في البُعدِ والقُربِ

فقالت عهِدتُ الحبّ يكسبُ ربّه شمائلّ لا تنال بلا حُـــبٍّ

وقد كان لي قلبٌ وكنت بلا هوى فلمّا عرفتُ الحبَّ صِرتُ بلا قلــبِ

6-الحكـم:

وقد جاءت حكمه مبثوثة في ثنايا القصائد، وقد جاء بعضها كتأكيد لما تتناقله الألسن من حكم السابقين.

فأبو ماضي قد خاض هذه التجربة من خلال مرارة العيش، ومعاناته الكبرى في ميدان الحياة.[3]

[1]-ينظر: الاتّجاهات الفنّيّة في شعر إيليا أبو ماضي، ص 466.

[2]-ينظر: تذكار الماضي، باب الغزل، ص 42.

[3]-ينظر: الاتّجاهات الفنّية في شعر إيليا أبو ماضي، محمد علي سيد أحمد داوود، ص 469.

7-الهجاء:

فما ظهر في دواوينه من ذلك قليل جدّا. فنجد في كتاب "زهير ميرزا" عن "إيليا أبو ماضي" في فراش المرض"، "لم أجد أحدا"، "إلى صديق".

والشّاعر كان متقلّبا في صداقته وعداوته فيه شيء من طباع العقرب يهجو بلا سبب.

ولعلّ "أبو ماضي" قد انتحى هذا المنحنى. وبلا شك لأسباب فرضتها عليه حتميّات الحياة. ولا يخلو مجتمع أيّا كان من عوامل السّرور والجبور، كذلك لا يخلو من الضّيق والكراهيّة. وهو من النّاس المعروفين بكثرة تقلّبه وسرعته.[1]

8-الفخر:

الباحث في أشعار "أبو ماضي" لن يعثر له غرض الفخر على كثير من الأبيات، إنّها أبيات ناذرة في الفخر بالوطن والقوم يمسّه مسار قيم، وفي وقت معيّن عندما يكون بصدر الحديث عن الوطن أو العروبة، أو تهديد الأعداء؛ أعداء الوطن والدّين.

وإنّ ممّا يبدو أنّ الهجرة وما فيها والقضايا القومية، ومتطلّباتها شغلت من الشّاعر كل فكر فراح يجاهد بعيدا عن هذا الموضوع.

وربّما رأى الشّاعر في الفخر نادرا تهدم ما ابتناه وتمزق ما تسجه من معاطف الثقة الغالية التي لا غنى عنها للمصلح، حتى يرى إصلاحه.

يقول في "أمنية مهاجر":[2]

أيّها السّائل عنّي من أنــا أنا كالشّمس إلى المشرق انتسابِي

أنا في نيويورك بالجسم وبالرّو ح في الشّرق على تلك الهضابِ

[1]-ينظر: نفسه، ص 477.

[2]-ينظر: الخصائص الفنّيّة في شعر إيليا أبو ماضي، محمد علي، ص 450.

المبحث الأول: دواعي الشعور بالاغتراب والحنين عند "إيليا أبو ماضي"

لسنا نعرف أسبابا خاصة دفعت "أب ماضي" إلى الهجرة غير ما عرف من الأسباب التي دفعت المهاجرين عامة.

وعلى الرغم من أنه ترك لبنان في سنّ مبكّرة ثم ترك البلاد العربية إلى أمريكا وهو في بداية شبابه، فقد أظهر لنا في بعض شعره أسبابا عديدة تدفع الإنسان إلى الهجرة، لعلّها أسباب الهجرة عامة، ولعلّها أسباب هجرة "أبي ماضي" نفسه.

وهو يظهر لنا هذه الأسباب مصوّرا الحالة في بلاده تصويرا مؤلما فيه وقاحة الواقع وضراوته، ولقد أورد "ميرزا" بعضا من هذه الأبيات في تعليل سبب هجرة "أبي ماضي".[1]

قال في قصيدة "وداع وشكوى":

نيويورك يا بنت البحار بنا اقصدي

فلعلنا بالغرب ننسى المشرق

وطن أردناه على حبّ العلى

فأبى سوى أن يستكين إلى الشقا

كالعبد يخشى بعدما أفنى الصّبا

يلهو به ساداته أن يعتقا

أو كلّما جاء الزّمان بمصلح

في أهله قالوا طغن وترندقا

هذا جزاء ذوي النُّهى في أمّة

أخذ الجُمود على بنيها موثقا

[1]–ينظر: إيليا أبو ماضي، جورج استيفانوس جحا، بيروت، 1960، ص 15.

وطنٌ يضيق الحرّ ذرعا عنده

وتراه بالأحرار ذرعا أضيقا

مشت الجهالة فيه تسحب ذيلها

ثيها وراح العلم يمشي مطرقا

شعبٌ كما شاء التّخاذل والهوى

مُتفرّق ويكاد أن يتمـزّقا

ولا يرتضي دين إلاّ له موحدّا

بين القلوب ويرتضيه مفرقا

كلف بأصحاب العبادة والتُقى

والشّرّ ما بين العبادة والتّقى

مستضعف إن لم يُصب متملّقا

يوما تملّق كي يرى متملّقا

لم يعتقد بالعلم وهو حقائق

لكنّه اعتقد التّمائم والرُّقى[1]

وحكومة ما إن تزحزح أحمقا

عن رأسها حتّى تولّى أحمقا

راحت تُناصبنا العداء كأنّما

جئنا أو ركبنا موبقـا

نفسي اخلدي ودعي الحنين فإنّما

جهل قبيل اليوم أن تتشوّقا

[1]–ينظر: ديوان إيليا أبو ماضي، سامي الدّهان، دار العودة، بيروت، ج2، ص 25.

هذه هي الدّنيا الجديدة فانظري

فيها ضياء العلم كيف تألّقا[1]

واضح بعد هذا أنّ للفقر والجهل، فرديّا وجماعيّا، والتّناحر والاقتتال العاطفيّ والضّغط السّيّاسي وغير ذلك من الأمراض كانت تنفع الكثيرين، ومنهم هذا الشاب وبعض أقربائه إلى طلب اللّقمة والاستقرار في الخارج في العالم الجديد.[2]

- **الظروف النفسية والاجتماعية:**

نشأ "إيليا أبو ماضي" فقيرا بين قوم يقدّرون المال ويقسّمون الرّجال بمقاييس الأبّهة والثّراء في الوقت الذي بسط الاستعمار العثمانيّ على بلاد الشّام يده بما حوته من صولة وجولة وكان "أبو ماضي" كغيره من أحرار بلاده يُبغض هذا الصّنف من الحكّام.

وكل ما نعرفه عن أسرة "أبي ماضي" أنّها تزوّجت بأب كريم، وهو "ظاهر أبو ماضي"، فقد ذكر الأستاذ "عبد اللطيف شرارة" تفي معرض الحديث عن أسرة الشاعر، أنّ والده كان يعمل بتربية دودة القزّ، والعا بأشجار التّوت، كما كان والعا بحفظ الشعر وعلى حظّ من الثقافة غير معروف، وقد مات في حياة "إيليا"[3]، فرثاه بقصيدة عنوانها "أبي" يقول فيها:

---

[1]–ينظر: ديوان أبو ماضي، ص 26.

[2]–ينظر: الشعر العربيّ في المهجر، عباس إحسان نجم، دار صادر للطباعة والنشر، ط2، 2005، ص 34.

[3]–ينظر: أدب المهجر، عيسى النّاعوري، دار المعارف، مصر، ط3، 1909، ص 372.

طوى بعض نفسي إذ طواك الثّرى عنّي

وذا بعضها الثّاني يفيض به جفني

أبي خانتني فيك الرّدى فتقوّضت

مقاصير أحلامي كبيت من التّبن

فليس سوى طعم المنيّة في دمي

وليس سوى صوت النّوادب في أذني

ولا حسنٌ في ناظري وقلّما

فتحتهما من قبل إلاّ على الحسن

وما صور الأشياء بعدك غيرها

ولكنّها قد شوّهتها يد الحزن[1]

ولم يقف الأمر عن هذا الحدّ، بل تجمّعت على الفريسة الذّئاب والنّسور وثعابين البشرية، وكل منهم يريد الفوز بسرعة افتراسها، فهناك صراع داخليّ بين الأعداء للفريسة بعضهم بعضا، يأمل كلّ منهم أن يصرع الآخر على غرّة ليفوز بها كاملة.

وما تقدّم ما هو إلاّ لون من ألوان الصّورة التي اختارت مادّتها القوى الاستعماريّة وعملت على إحيائها الإقطاعية، وهذا هو الذي غرس بذور الكراهية وأدّى إلى بعث يد التمرد في قلب "إيليا أبو ماضي"، فلم يكن أنانيّ النظرة، بل رحّبت نظرته لتشمل كل طائفة مسّها الضر، أو وقعت تحت شباك العذاب، كما كان رقيقا يقضي على ظلمة اليأس في نفوس الحائرين.[2]

[1]–ينظر: الخمائل، إيليا أبو ماضي، دار العلم للملايين، بيروت، 1987، ص 110.

[2]–ينظر: دراسات في الأدب المعاصر، محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، د.ط، د.ت، ص 111.

وما تقدّم ما هو إلاّ لون من ألوان الصّورة التي اختارت مادّتها القوى الاستعمارية وعملت على إحيائها الإقطاعية، وهذا هو الذي غرس بذور الكراهية وأدّى إلى بعث يد التّمرّد في قلب "إيليا أبو ماضي"، فلم يكن أنانيّ النّظرة، بل رحّبت نظرته لتشمل كلّ طائفة مسّها الضّر، أو وقعت تحت شباك العذاب كما كان رقيقا يقضي على ظُلمة اليأس في نفوس الحائرين.[1]

كما عطف "أبو ماضي" على الفقير وتألّم من أجله كثيرا، فقد أحسّ لدغة الجوع وقسوة الفقر، وملأه الغيظ من هؤلاء الأغنياء، فجعل يعبّر عن غيظة المرّ في أكثر من موضوع، وهذا يُظهر السّخرية حينا والجدّ حينا آخر، وتظلّ نفس "إيليا أبو ماضي" تتقاطر دما، بل ويكاد يتميّز غيظا ممّا رأى وعرف، فقد عرف الوجوه، لأنه ينظر إليها من خلال ما نسجه بصره، فرأى الحقيقة التي وراءها ببصيرته، كما فاضت نفسه بالرّأفة، حتى حبه للفقير، وأصبح يرى كلّ ثائر يحقق أو يحاول أن يحقق لأخيه المسكين أملا ويحرق جسم الطّغيان.[2]

وحين يتقدم به الزمن، وينصرم منه عهد الشباب، ويترك نفسه نهبا لصراع حادّ وعندئذ تنتصر عوامل النّفور من الحياة، فيعلن صريحا أنّه أصبح لا يحارب بشيء، حتى ولو كان هذا الشيء هو الطّبيعة التي كانت من قبل ملاذه ومنبع راحة واستقرار روحه.

وبعد أن أصبح يعيش يومه لا يفكر في الأمس المقتضى أو الغد المجهول أصبح يُدين بنصف النّظرة السابقة فيكره السّؤال عن الأمس بينما يوجّه اهتمام السّائل عن الغد. يقول:

يا سائلي عن أمسٍ كيف أنْقضي

دعه وسلْني يا أخي عن غدٍ

---

[1]–ينظر: دراسات في الأدب المعاصر، محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، د.ط، د.ت، ص 111.

[2]–ينظر: قصة الأدب الهجريّ، محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت، ط3، 1970، ص 146.

أروحُ للنّفس واهنًا لها

أنْ تحسب الماضي لو يُولـدَ[1]

وحتّى إذا ألمّ الشّيب، وحصد الزّمان أمانيه فتساقط صرعي، وراح الأمس يرافقه، كما نجد نغمة القلق ترافقه في أكثر من قصيدة في ديوانه "تبر وتراب" وهو يُعلن أنّ ما بناه من فردوس ضاع.[2]

وجرى الحديث عن شعوره بالألم إلى شيء مهمّ وهو أن جزءا من شعوره بالألم نشأ عن تأثّره برفاقه في المهجر، وبوجه خاصّ "جبران خليل جبران".[3]

[1]–من قصيدة "أين عصر الصّبا" لإيليا أوب ماضي.

[2]–ينظر: الاتجاهات الفنية في شعر "إيليا أبو ماضي"، سيد أحمد علي داوود، جامعة الأزهر، القاهرة، 1772، ص 663.

[3]–ينظر: بين شاعرين مجددين...إيليا أبو ماضي ومحمود طه المهندس....، عبد المجيد عابدين، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، مؤسسة الخانجي، ط1، 2010، ص 150.

المبحث الثاني: الغربة وأثرها في شعر "إيليا أبو ماضي".

إذا كانت الغربة في أقرب معانيها هي النّزوح عن الوطن والبعد عنه، وإذا كان الوطن في مفهومه هو تلك البقعة من أرض الله يقيم فيها المرء. **فهل تتساوى الأوطان التي يقيم الإنسان حينما ينزح من وطن إلى آخر؟**

وللغربة أيّا كانت آلام وأشجان، عويل وصراخ، ويأتي التّعبير عن ذلك عند الأدباء بنفحات الحنين الصادق، ذلك الحنين الذي تعكسه نيران الغربة على صفحة النفس فتظهره مرآة الفوائد في صور شتى، منها ذلك النوع الساذج البسيط القريب من فطرة النفس.....والذي يتجلّى في ذكر معاهد الطفولة، ومدارج الصّبا وجمال البلاد....وأحيانا لا يجد المغترب في ذلك ما يشفي غلّته، ويروي ظمأه.[1]

وفي هذا المجال وبصدد الحديث عن الغربة وآثارها في شعر شاعر اكتوى بنيران الغربة، وتجرّع مرارة مذاقها حتّى صلته أصابع الاغتراب ارتأى لي أن أشير إلى تلك الغربة متتبعة آثارها كمّا وكيفا.

غادر "أبو ماضي" لبنان متجها شطر"مضر" بصحبة عمّه "نعّوم" وقد سبقه إليها إخوة "طانيوس" وهذا ما رتّق كثيرا من ثقوب نفسه وملأ آنئذ فراغا كثيرا من حياته، ولولا هما لا افترست "أبا ماضي" نيران البعاد وحرقته، وعيان الفكر وعقارب الوحدة.

وإذا فتحنا صفحة الغربة لدى شاعرنا "إيليا أبو ماضي" وجدناها لا تلتزم وتيرة واحدة، لقد عاش في لبنان ثم في مصر بالإسكندرية ثم في أمريكا ولم يقتصر الأمر عن كهذه الظواهر بل تداخلت المقادير في هذه المراحل فصبغتها بصيغ مختلفة في كل من الإسكندرية، وأمريكا.[2]

---

[1]–ينظر: إيليا أبو ماضي، دراسات عنه وأشعاره المجهولة، جورج ديمتري سليم، دار المعارف، مصر، القاهرة، 1957، ص 180.

[2]–ينظر: إيليا أبو ماضي، دراسات عنه وأشعاره المجهولة، جورج ديمتري سليم، ص 182.

فهو في لبنان يعيش غضّا بين قرابينه وآله وخلاّنه، ولكنه لمس على نفسه غربة نفسيّة وروحيّة بين أمثاله وأولئك الماكرين الذين شقّوا عليه وعلى آله وأمثالهم وجه الحياة، إنّهم رجال الدّين وغيرهم من الذين امتلكوا أشباح الرّحال بيد أنّ الإنسانيّة هجرت قلوبهم فصارت لا تئنّ لباك ولا تنصف شاكيا.

وكلّ شقّ طريقه إلى قلب الشاعر، وبذلك أصبح يتركّب بنيران الاغتراب مع الحريّة ضاربا بالاقتراب في رحاب الوطن تحت أعماق البحار، وقد هجر لبنان وما فيه قبل أن تنساب أنغامه لتسجّل انطباعاته النّفسيّة عن كثب؛ وقبل أن ترى ما في آنئذ من غيوم تعكّر صفو حياة النّاس هناك.....ومع هذا الرّحيل المبكّر وعي بعضا من ذلك حتّى انعكس ذلك في بواكيره الشّعريّة "تذكار الماضي"، فقد حكت قصائد منه انطباعاته عن الإنسان، ورجال الدّين وغيرهم من أولئك الباغين.

والباغين في مرحلة اغترابه الأولى والأخف وطأة كانت تغذيه وتعينه فيها أمان عذاب ولكلّ حيّ أمان[1]، موت أخيه حرّك فيه كل ساكن، ومزّق كل ممزق، وأشعل في حياته جمرات الغربة التي احترق بلهيبها، وتركه كسير الجناح فما كاد يصف أحجار آماله حتّى أخذ الدّهر في بعثرتها وتحطيمها، بل ووضع أعتى الحواجز وأقواها أمام رغباته فانهرت عبرات الشّعر والحزين.

ولقد وقف له الدّهر بالمرصاد فظلّ يلاحقه دون أن يترك له فرصة يتسرّد فيها أنفاسه، بل كان له الكيل واف، ترصّده الدّهر حتّى نسج له حجابا قاتما، وظلّ يحاربه بأصرم البواتر، متتبّعا كلّ عون له في غربته، لينتزعه ويضرب مكانا عاتقا أمام مسيرته.....

[1]– ينظر: إيليا أبو ماضي، دراسات عنه وأشعاره المجهولة، جورج ديمتري سليم، دار المعارف، مصر، القاهرة، 1957، ص 184.

هبّت رياح الخريف عاصفة بشجرة آماله لتسقط كثيرا من أوراقها الذّابلة والتي كانت في وقت ما خضراء ناضرة، وتحلّ محلّها أحد أشواك الاغتراب لتأخذ مكانها في صدره، فتُدمي عشّر إلفه، وتبدّد غزل أنسه، كما وجدت آلام الغربة في فسح مكانا لها في أعماقه، فبدأت تعلو صرخاته، وتتابع آهاته الملتهبة التي لفحت بجرّها قسمات وجهه، وطبعتها بطابع العتمة.[1]

[1]–جريدة البلاغ، 1940/09/12، إيليا أبو ماضي والحركة الأدبية في المهجر، أمريكا، نجدة فتحي صفوة، بغداد، مطبعة الحكومة، 1945.

المبحث الثالث: مضامين الاغتراب والحنين في شعر "أبي ماضي".

1) الحنين إلى الوطن:

إنّ كلّ من يهاجر ويغادر وطنه، فلابدّ له أن يعيش بعيدا عنه وعن ربوعه وأطلاله وأبنائه–أصحاب لغته– فيبقى في الدّيّار الأجنبيّة غريبا مغتربا ليس له صديق وفيّ يواسيه في أحزانه ويسانده بغربة غريبة يعاني منها فيتذكّر وطنه وأيّام طفولته يلعب مع أترابه.[1]

ويعبّر "أبو ماضي" عن محبّته لوطنه، يضعه فوق كلّ ديار في قصيدته "لبنان":

اثنان أعيا الدّهرُ أن يُبليهِمَا

لبنانُ والأمل الّـذي

نشتاقهُ والصّيف فوق هضابه

ونُحبّهُ والثّلجُ في واديهِ[2]

وربّما هذا الحنين اهتداء للرّوح العربيّة الأصلية والحياة البدويّة الجاهليّة، وأيضا ثورة على الحياة الغربيّة التي يحسّ فيها الشّاعر بالاضطراب والحزن والغربة والحاجة إلى العودة إلى وطنه.

2) الغاب:

إنّ الغاب عند أدباء المهجر رمز لحبّهم الصادق إلى مواطنهم المفقودة التي ينشدونها، فالغاب نقيض القصور، هو تلك الطّبيعة المقدّسة عندهم، ورمز للرّجوع إلى بساطة الحياة وصداقتها في الحياة العربيّة.[3]

---

[1]–ينظر: الشعر العربي في المهجر، إحسان عبّاس، دار صادر للطّباعة والنّشر، ط2، 2005، ص 5.

[2]–نقلا عن: دراسات في الشعر العربي المعاصر، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط3، ص 263.

[3]–ينظر: إيليا أبو ماضي بين الرشق والغرب في رحلة التشرّد والفلسفة والشّاعريّة، سالم المعوش، بيروت، 1997، ص 24.

وشبّه "إيليا أبو ماضي" الغاب بعالم المثل لا أفلطونيّة وعدّه مثابة للخير والحبّ والجمال والتّضحية يقول:

فأصبح رأيي في الحياة كرأيها

وأصبحت لي دينٌ سوى مذهبي قُبُلاَ

وصار بيتي ما يُطلقُ العُقُلا

وصار كِتابي الكون لا صحفُ تُتْلَى[1]

3) التّفاؤل:

"إيليا أبو ماضي" ممثّل لهذه النّظرة وإن كان متأثّرا بالنّزعة الرّومانسيّة وله نظرة سلبيّة أيضا، ولكنّه لم يتورّط في تشاؤم مرير محض، بل قد يتفاءل في الحياة ببصيرة وفهمه وتفكّره في آلام الإنسان وحياته، فهو يعتقد أنّ الإنسان هو الذي ينغّص عيشه بيده.[2]

فيقول مخاطبا الشاكي في الحياة وآلامها وأحزانها:

أيُّها الشّاكي وما بك داءُ

كيف تغدو إذا غدوْتَ عليلاَ؟

إنّ شرَّ الشّوكِ في الورودِ، وتعمّى

أن ترى فوقها النّدى إكليلاَ

هو عبءٌ على الحياة ثقيلُ

من يظنُّ الحياة عبئًا ثقيلاَ[3]

---

[1]–ينظر: الشعر العربي في المهجر "أمريكا الشّمالية"، إحسان عبّاس، ص 140.

[2]–ينظر: تطوّر الأدب العربي المعاصر، شكيب أنصاري، أهواز، جامعة جمران أهواز، ط1، 1376، ص 70.

[3]–ينظر: ديوان إيليا أبو ماض، سامي الدّهان، ج3، ص 604. من قصيدة "فلسفة الحياة".

4) التأمّل والتّفكّر:

إنّ الأديب المهجريّ كان في قلق واضطراب في الغربة، وهذا أثار أسئلة في وجه الأديب حول قضايا مختلفة، ولاسيما بالنّسبة للكون وما يجري في الحياة الدّنيا وما سيجري في الحياة الأخرى والثّنائيّة الحاكمة في الموجود من خير وشرّ، ونور وظلام، وسرور وحزن، سيرة العقل على القلب أو عكسه، فأخذ المهجريّ يتفكّر ويتأمّل فيها ويبحث عن سببها، فلذا نرى بعض أشعار المهجر تتسم بالطّابع الفلسفيّ والتّأمّلي والرّمزيّ الذي يعتبر لونا جديدا من الطّوابع الأدبيّة عند الأدباء المحدثين.[1]

[1]–ينظر: ديوان العرب، المهجريّ ومدارسه وشعرائه، مريم عزيز خاني، 2014.

المبحث الأول: عرض نص القصيدة "وطن النّجوم".

وطن النّجوم.....أنا هنا حدّقْ.....أتذكر من أنا؟

ألْمحتُ في الماضي البعيد فتًى غريرًا أرْعنــا؟

جَذْلان يمرح في حقولك كالنّسيم مُدَندِنَــا

المقتني المَمْلوك ملعبـه وغير المُقتنـــى !

يتسلّق الأشجار لا ضجرا يحسّ ولا ونـــى

يعودُ بالأغصان يبريهـا سيوفا أوقنـــا

ويخوض في وحل الشّتا متهلّلا متيمّنـــا

لا يتّقي شرّ العيــون ولا يخاف الألسُنَــا

ولَكَمْ تشيطن كي يقـول النّاس عنه "تنشيطَـا"

أنا ذلك الولد الــذي دُنياه كانت ههنــا !

أنا من تُرابــك ذرّةٌ ماجت مواكب من مُنـى

أنا من طيورك بُلْبُـلُ غنّى بمجدك فاغتنـى

حمل الطّلاقة والبشاشـة من رُبوعك للدّنــى

كم عانقت روحي رُباك وصفّقت في المُنحنـى؟

الأُرْز يَهْزَأُ بالرّيــاح وبالدّهور وبالفنــا

للبحر ينشره بنــوك حضارةً وتمدّنــا

للّيل فيك مُصلّيــا للصّبح كيْلا تحزنـا

للبدر في نسيان يكحـل بالضّياء الأعينــا

فيذوب في حّق المهـى سِحرا لطيفا ليّنــا

للحقل يرتجل الرّوائـع زَنْبقًا أو سَوْسَنــا

للعشب أثقله النّــدى | للغصن أثقله الجنــى
عاشى الجمال متشـرّدا | في الأرض يُنشد مسكنا
حتّى انكشف له فألقــى | رِحْلَه وتوطَّنــا
واستعرض الفنّ الجِبـال | فكنت أنت الأحسنـا
للهِ سرٌّ فيك، يــا | لبنان، لم تُعلنْ لنــا
خلق النّجوم وخـاف أن | تغوي العقولَ وتَفْتُنَـا
فأعار أُرْزَكَ مجــده | وجلاله كي نؤمنــا
زعموا سلوتُكَ.....ليتَهمْ | نسبوا إليَّ المُمْكِنَــا
فالمرء قد ينسى المسـيء | المفتري، والمُحسنـا
والخمر، والحسناءُ، والوتر | المُرنَّحَ، والغِنَــا[1]
ومرارة الفقر المُـذِلِّ | بلى، ولذَّات الغِنــى
لمنّه مهما ســلاَ | هيهاتِ يسلو الموطنـا[2]

[1]–ينظر: ديوان إيليا أبو ماضي، سامي الدهان، دار العودة، بيروت، ص 836–837.
[2]–نفسه، ص 838.

المبحث الثاني: دراسة فنية للقصيدة.

1-موضوع القصيدة:

تعدّ قصيدة "وطن النّجوم" من أشهر قصائد الشاعر، وقد قالها حين زار بلاده سنة 1948 لحضور مؤتمر اليونسكو الدّولي، وقد دُعي الشاعر ممثلا للصحافة العربية في المهجر، ويدور الحديث فيها حول محورين أساسيين هما:

أوّلا: فرحة الشاعر بالعودة إلى الوطن وملامسة ترابه، ورحلة استذكار لطفولته؛

ثانيا: تأكيد الانتماء للوطن، والاعتزاز بجماله وجلاله.[1]

"وطن النّجوم" قصيدة في حبّ الوطن، وهذا الموضوع محلّ عناية من شعراء كثيرين من المهجريين وغيرهم، ويأتي تناول الشّعراء له في عدّة اتّجاهات منها: تمجيد الوطن، والإشادة بماضيه ومفاخره القديمة، ومنها: تصوير الحنين إليه، والرغبة في العودة إليه في أوقات الاغتراب والبعد عنه، ومنها: مناهضة أعدائه إلى العمل من أجل تقدّمه والنّهوض له، لكن هذه القصيدة "وكن النّجوم" تسلك اتّجاها آخر؛ فهي أشبه بشعر الغزل.

والوطن هنا هو الحبيبة التي يتأمل جمالها، ويصوّر حسنها في أسلوب رقيق عذب بعيد عن العهود في شعر الوطنية من صخب الموسيقى وجلجلة الألفاظ وخطابة الأسلوب.[2]

تدلّ الأبيات الأولى على أنّ الشاعر عاد إلى وطنه بعد غياب؛ فتذكّر أيّام طفولته وزمن صباه، وأخذ يذكر وطنه الحبيب بهذه الأيّام ويذكّره بنفسه ويعرّفه بأوصافه التي تتكوّن منها ملامح صورته أيّام كان طفلا يلهو في ربوع هذا الوطن.

[1]-ينظر: إيليا أبو ماضي، عبد اللطيف شرارة، دار بيروت للطباعة والنشر، ط1، 1982.

[2]-من أعلام الشعر وروائعه في العصر الحديث، حسن عبد السلام. من شبكة الانترنيت.

وأوّل بيت في هذه القصيدة يحتوي على نداء للوطن بإضافة النّجوم إليه، والإضافة تعني الملكيّة والتّخصيص، "وطن النّجوم....أنا هنا": وكأنّ الشاعر يخبر وطنه بمفاجأة سارة، ثم يدعوه إلى التأمّل والتّحديق من أجل التّذكّر، وكأنّ عودته إليه كانت شيئا غير متوقّع.

وطَنُ النُّجومِ.....أنا هُنَـا حَدِّقْ أَتَذْكُر منْ أنـأ.

إنّه يرتدّ بذاكرة الوطن إلى الماضي البعيد؛ حيث كان الشاعر طفلا غريرا يمرح في الحقول مدندنا كالنّسيم، يظنّ أنّ كلّ شيء مسموح به، وأنّ الدّنيا كلّها ملكا له، يتسلّق الأشجار في نشاط، ويعود بالأغصان يبريها، ويصنع منها سيوفا ورماحا يلعب بها، ويخوض في وحل الشّتاء متهلّلا متبسّما غير مكترث بنظرات النّاس ولا بألسنتهم؛ بل إنّه كثيرا ما كان يأتي أعمالا طفولية يعجبه أن يتحدّث قومه ويصفونها بأنّها نشيطة.[1]

إنّ هذا الماضي الجميل وتلك الدّنيا البريئة اللاّهية حقّا هي دنياه التي كانت على أرض وطنه الحبيب وبعد هذا التّذكّر بأيّام طفولته يؤكّد الشاعر لوطنه أنه كلما ينساه في أوقات غربته وبعده عنه، من أجل أنّه ارتحل عن وطنه لينشر في الدّنيا ضياءه ويُسمعها غناءه ويفيض عليها من جمال وطنه وبهائه.[2]

إنّ روحه كثيرا ما حلّقت في أرجاء وطنه وهو غريب، لقد عانقت روحه رباه وصفّقت لأرزه وبحره، وليله وصبحه، وشمسه وبدره، وعشبه وغصنه، ونداءه، كل شيء فيه في وطنه يحسب رؤيته جميل.

[1]– من أعلام الشعر وروائعه في العصر الحديث، حسن عبد السلام. من شبكة الانترنيت.

[2]–ينظر: المجلة التربوية، المركز التربوي للبحوث والإنماء، "وطن النّجوم"، بطاقة تقنية، سامية القسّيس.

لقد عاش الجمال مشرّدا في الأرض يبحث له عن وطن؛ حتى رأى "لبنان" فاتّخذه وطنا، وكذلك فعل الفن، إنّ هذا الجمال في وطنه وراءه سرّ غامض لا يعلمه إلاّ الله؛ **فكيف نسيَ الشّاعر وطنه وهو بهذا الوصف؟!** إنّ وطنه يستعصي على النّسيان.[1]

يقول في مقطعها الأوّل:

وطن النّجوم...أنا هنـا حدّق أتذكر من أنـا؟

أَلْمحتُ في الماضي البعيد فتًى غريرًا أَرْعنـا

جَذْلانَ يمرحُ في حقولـك كالنّسيم مُدَنْدِنَـا

يتسلّق الأشجـار لا ضجرًا يخشى ولا ونى[2]

تظهر حميميّة العلاقة بالوطن في الوهلة الأولى أي من العنوان أول مفاتيح النص وعلاماته.

2-العنوان:

تُقْرأ عبارة العنوان على محملين يجب الوقوف عندهما معا؛ مَحْمل التّركيب الطّلبي (النّداء)، ومَحْمل التّركيب الاسميّ. فإذا أخذنا على محمل التّركيب الطّلبي (النّداء) على أساس ما جاء في بيت القصيدة:

وطنُ النُّجومِ.....أنَا هنَا حَدِّق أَتَذْكُرْ من أنَا؟

نلاحظ أنّها جاءت على صيغة منادى لأداة محذوفة "يا" المؤدّية لوظيفة فعل الطّلب: "أَدْعُو"، "أُنَادِي".

وإضافة المنادى إلى "النُّجوم" إلحاق للوطن بثوابت لا تتغير منها: أنّ النّجوم رمز الخلود، وهو خلود للوطن. وتدلّ النّجوم دلالة الوضوح ممّا يضبط الرّؤية ويحدّد الهدف.

[1]-ينظر: إيليا أبو ماضي، جورج استفاتوس جحا، ص 189.

[2]-ينظر: الدّيوان، ص 376.

وممّا تشير إليه النّجوم دلالة البعد. هذا الأخير إشارة للمطلق والكمال، كما أنّها بمخزونها الإنسانيّ والعقائديّ تمثّل المعلميّة؛ فهي سبيل الهداية والإرشاد.[1]

3-الأفعال:

من أكثر ما يستدعي الانتباه في المقطع الأول من وطن النّجوم ظاهرة حضور الفعل المضارع، وما ذلك إلاّ إحياء للطفولة؛ فالشاعر ما عرف وطنه ورعاه إلاّ طفلا فهو لم يعش فيه شابّا ولا كهلا، فقد أضفى الفعل المضارع الدّال أصلا على الحال أو الاستقبال والقرينة هنا معنوية:

وطن النّجوم.....أنا هنا حدّقْ.....أتذكر من أنا؟

ألمحتُ في الماضي البعيد فتى غريرًا أرْعنا

فالشاعر انطلق من لحظة الحاضر "أنا هنا.....أتذكرْ؟ ثمّ أخذت منعطفا ذكيا بتحوله بواسطة "أتذكرْ" الدالة على المضارع إلى الماضي البعيد، لأنّ التذكر لا يكون إلاّ للماضي.

ومن هذا المنعطف جعل يوالي الأفعال المضارعة الدالة أصلا علل الماضي: يمرّح، يتسلّق، يعودُ، لا يخاف.

وما يؤكّد هذا هو عامل الفاعلية الذي يؤديه الشاعر نفسه، فهو الذي يتوق إلى طفولته، وبما أنّ استرجاع الماضي مستحيل في الواقع فها هو يحقّقه فنّيا.[2]

---

[1]-ينظر: الوطن في شعر إيليا أبو ماضي، دراسة تحليلية سيميائية، رسالة ماجستير في الأدب الحديث والمعاصر، من إعداد الطالب عبد الكريم أروينة، وإشراف د.أحمد قورار بن لخضر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2007-2008.

[2]-ينظر: جامع الدّروس العربية، مصطفى الغلايني، المطبعة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 2004، ج3، ص 508.

4-البُنى الاسميّة:

إنّ فواتيح المقطع الثاني تتشكل في أبنية اسمية متماثلة حدّ الانطباق:

أنا ذلك الولدُ الّذي دُنياهُ كانتْ ههُنَــا

أنا من مياهك قطرة فاضت جداولَ مِنْ سَنَا

فصدر كلّ بيت من هذه الأبيات هو تركيبيّ اسميّ.[1]

5-الإيقاع:

تتمتّع قصيدة "وطن النّجوم" بإيقاع متميّز، يطرب القارئ، والذي يثير الانتباه هو اختياره للبحر وهو مجزوء وإيقاعه نظريّا.

مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ

كما نلاحظ زيادة السواكن في بناء النّصّ الإيقاعي، بحيث دخل الإضمار في ستة عشر وحدة أي تفعيلة. فقد تغيّرت وحداته بنسبة 44.44.

أمّا قافية "وطن النّجوم" فتقابل التّشكيل الصّوتي التّالي:

1-مَنْ أَنّا=/0//0

2-أَرْعَنَا= /0//0

-//**0** وتد مجموع=قابل-هذا الوتد-كلمة"أنَا"، وهي الكلمة المحور في البيت كلّه، وباعتبار المعنى والنتائج المتحصل عليها[2].

تكون كلمة "أنا" محور المقطع الأول كلّه والشاعر يركّز عليها بوصفها أساس الدلالة من جهة وأساس الإيقاع نظرا لحساسيته موقعاه في الوزن.[1]

---

[1]-ينظر: الوجيز في فقه اللغة، محمد الأنطاكيّ، دار الشرق، بيروت، ط3، ص 338.

[2]-ينظر: موسيقى الشعر العربي قديمه وحديثه، عبد الرضا علي، دار الشروق، عمان، الأردن، ط1، 1997، ص 168.

6-العاطفة في القصيدة:

العاطفة في الأدب عامّة وفي الشعر خاصة هي التي إليه باعثة الحياة فيه، وهي روح تسري في النّصّ سريان الماء في النّبتة الخضراء وعلى قدر تدفّقها وقوّتها وصدقها يكون تأثرنا بالنّصّ وتفاعلنا معه وإعجابنا به.[2]

والعاطفة في قصيدة "وطن النّجوم" عاطفة هادئة صادقة ومستمرّة ومتنامية وغير مضطربة ولا متناقضة والتعرف على العاطفة والحكم عليها إنّما يكون من خلال الأساليب وطرائق التّعبير؛ فالعاطفة هي إحساس الشاعر، والإحساس شيء غائب، واللغة هي التي تدلّ عليه ونحن نستطيع أن نشعر بالعاطفة في هذه القصيدة ونحسّها ونختبر الحكم عليها من خلال هذا الوصف البديع الذي قدّمه الشاعر لوطنه، وخلال تصويره لحنينه إليه في مثل قوله:

أنا من مياهك قطرةٌ، أنا من تُرابك ذرّة، أنا من طيورك بُلْبُلٌ.....الخ.[3]

ومن خلال نفيه القاطع لنسيانه إيّاه وتكذيب من زعم أنّه سلاه فيقوله:

زعموا سِلْوَتك لَيْتَهُمْ نَسَبُوا إِلَيَّ المُمْكِنَا

ومن خلال تأكيده هذا المعنى في الأبيات الأخيرة من القصيدة حتّى قال في آخرها:

لَكِنَّهُ مَهْمَا سَلاَ هَيْهَاتَ يَسْلُو المَوَاطِنَا[4]

7-التّصوير:

---

[1]-قصيدة "وطن النّجوم"، شرح وتحليل، أبشر عبد النعيم عبد الله، سودائيل، 2012.

[2]-المرجع نفسه، ص 168.

[3]-التعريف بالشاعر إيليا أبو ماضي، أماني عبد الهادي، جامعة المدينة العالميّة، 2013.

[4]-من أعلام الشعر وروائعه في العصر الحديث، حسن عبد السّلام.

يستعين الشّاعر باللّغة: ألفاظها وتراكيبها وبخياله ليوصل إلى الملتقى، السّامع أو القارئ، أفكاره التي تدور في عقله، ومشاعره التي تموج في نفسه والاستمتاع بالصورة الأدبية تدلّ على أمرين، وثانيهما: قدرة القارئ على التّذوّق ونجاحه في التّواصل مع الأديب.

وقصيدة "وطن النّجوم" حافلة بالصّور التي وظّفها الشاعر أحسن توظيف لحمل أفكاره ومشاعره، من هذه الصّور التي رسمها الشاعر لطفولته السّاذجة البريئة اللاّهيّة في الأبيات الأولى والتعبير في هذه الصور الكلية لا يميل إلى المجاز إلاّ قليلا؛ ممّا يدلّ على أنّ الصورة يمكن أن تكون ناجحة يتوسّل بالتّعبير الحقيقيّ.[1]

وحين نتأمّل الأبيات العشرة الأولى نجدها خالية من المجاز ماعدا التشبيه في البيت الثالث والتاسع، لكن الأبيات مع ذلك تستحضر لنا صورة الطّفل ماثلا في الطّبيعة الحيّة....يتسلّق الأشجار، ليعود بالأغصان ليصنع منها سيوفا ورماحا، ثم يستعرض الشاعر صورة الطفل وهو يخوض في وحل الشّتاء متهلّلا متبسّما.

وكما أدّى التّعبير الحقيقيّ وظيفته في الصّورة في هذه الأبيات أدّى المجاز وظيفته أيضا في باقي القصيدة على نحو متميّز يدلّ على خيال محلّق وشاعرية خصبة وذكاء نافذ ونفس عاشقة للجمال المبثوث في رُبى الوطن لبنان وربوعه.[2]

وحين نتأمل المجاز المركّب في التشبيه والاستعارة في الأبيات الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر، والاستعارة في البيت الرّابع عشر، وما يليه.

فالأرز يهزأ بالرّياح، وبالدّهور، وبالفناء، واللّيل موصل، والصّبح مؤذن، والشّمس تبطئ في وذاع الذّراكي لا تحزن.....والبدر يكمل الأعين، والضّياء يذوب في حدق البنات

---

[1]–عالم الأنا، الشعر العربيّ، إيليا أوب ماضي، "وطن النّجوم". شبكة الانترنيت.

[2]–ينظر: إيليا أبو ماضي، شاعر الغربة والحنين، محمد محمود، دار الفكر اللّبناني، ط1، م1، 2003، ص 84.

المشبّهات بالمها، والحقل يرتجل الرّوائع، لكنّها روائع من زنبق أو سوسن إنه خيال الشاعر الذي نفخ الحياة في هذه الأشياء حتّى جعلها تحسّ وتشعر وتتحرّك وتفعل.

لكن هذا الخيال يبلغ مداه في التّفوّق والإبداع في البيتين الرابع والعشرين والخامس والعشرين، حيث يقول الشاعر:

عَاشَ الجمال مُتشَرِّدًا في الأرض يُنْشِدُ مَسْكنَا[1]

وهنا نلتفت إلى عنصر مهمّ في بناء الصورة وهو عنصر الألفاظ والأساليب وقدرتها على الإيحاء بمعان ومشاعر تجعل التعبير أكثر ثراء إذا أحسن الشاعر وأجاد انتقاءها. وحال ذلك هذين البيتين خاصة لفظ "مشرّدا" لدلالته على هيئة الجمال الحائر الذي كان ينشد له في الأرض مسكنا وجملة "أَلْقَى رَحْلَهُ ويُواطنا" وحسن المقابلة بينها وبين التّشرّد.

وعند قراءة البيتين نستحضر إيحاءات الألفاظ، من هنا نجد المعنى الذي أراده الشاعر، وهو أنّ وطنه وطن الجمال، يتمكّن في نفسنا على نحو عجيب.[2]

والحقّ أنّ القصيدة مشحونة بالألفاظ الموجعة والأساليب الدّالة، نتأمّل النداء، والاستفهام في الأبيات الأولى، والتعبير بالجمل الاسميّة في الأبيات الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر، والتعبير بالفعل الماضي مرة والمضارع مرة أخرى في الأبيات التي تليها، وتقديم الخبر على المبتدأ لإفادة القصر في قوله: "**لله سِرٌّ فيكَ يا لُبنانُ**".

وأمّا دلالة التّصوير على نفس الشاعر المبتهجة بالحياة المقبلة على ملذّاتها المشبعة بالجمال والمتتبعة لمظاهره فنجدها في: جَداولَ منْ سَنا، وكواكب منْ مُنى وفي الطّلاقة والبشاشة واليَيْمن، والبُلبُل والأرز، والبحر والنّدى، والجُنى.[3]

---

[1]–المرجع نفسه، ص 85.

[2]–من أعلام الشعر وروائعه في العصر الحديث، حسن عبد السّلام.

[3]–المرجع نفسه.

لكنّنا مع الإعجاب ببراعة الشاعر التصويرية في هذه القصيدة، لا نرتضي كما أشرت ما قاله في البيت الثامن والعشرين، والتاسع والعشرين. ويبدو أنّ أبا ماصي كغيره من المهجريين يتجاوز أحيانا حدود المقبول عقيدة للوصول إلى ما يريده فنّه.[1]

وعليه فقصيدة "وطن النّجوم"؛ قصيدة مليئة بصور الطّفولة تسير بخفّة وارتجال، واختار لها الشاعر الوزن والألفاظ المتراقصة، بشكل يتّخذ المنظر الواحد ثمّ يعود منه إلى الماضي على طريقة التّداعي، لكنّها تقتصر على صورتين: الأولى صورة الشاعر العائد إلى وطنه وكأنه في لحظة تعارف بعد فراق طويل، وكأن ذلك الوطن نسي من هو هذا الكهل الذي يطأ ثراه فإنه يقبّله. وأعاد إليه الشاعر الصورة القديمة في شريط من المناظر المتلاحقة التي تعود من الحاضر إلى الكهولة، إلى الماضي وهو فترة طفولة الشاعر.[2]

8-الوحدة في القصيدة:

تحققت في القصيدة الوحدة الفنية في عدة جهات هي:

1/وحدة الموضوع: لقد خلصت القصيدة لموضوع واحد.

2/وحدة الجوّ النفسي: الناتجة عن تنامي العاطفة وصدقها واستمرارها وعدم اضطرابها؛

[1]-قصيدة "وطن النّجوم"، شرح وتحليل، أبشر النعيم عبد الله، سودائيل، 2012.

[2]-إيليا أبو ماضي، جورج استفانوس جحا، بيروت، 1960، ص 189

3/ترابط الأفكار والتئام المعاني والألفاظ؛

4/وحدة الوزن والقافية.[1]

[1]–من أعلام الشعر وروائعه في العصر الحديث، حسن عبد السلام.

المبحث الثالث: الخصائص الفنية في خطابه الشّعريّ.

أ. الخصائص الشكلية:

حافظ "إيليا أبو ماضي" في شعره على الأوزان والقوافي على خلاف أصدقائه "جبران خليل جبران" و"ميخائيل نعيمة" الذين كتبا شعرا منثورا، غير أنّ هذا لم يمنعه في تنويع شكل القصيدة. وقد تميّزت بعض قصائده بظاهرة المطوّلات الشعرية كقصيدة "الطّلاسم" و"الحكاية الأزليّة" و"الشاعر والسلطان الحائر".

وكذلك تميّز شعره بأسلوب قصصيّ جاء كلوحات فنية رائعة، وكان أبو ماضي من أشهر من برع في القصة الشعرية ولاسيما الأسطورية منها، فقد امتلأت دواوينه بهذا اللون من الشعر.[1]

ب. الخصائص المضمونية:

أمّا التّجديد في المضمون فأوّل ما نلاحظ من ذلك طرق الموضوعات الإنسانية العامة التي تمسّ حياة البشر جميعا وتصيب واقعا هو النفسي والاجتماعي، والخروج بالمضمون الشعري من النطاق الذاتي الضيق إلى النطاق الإنساني الرحب هو صورة في تطبيق المفهوم الحقيقي للشعر كما يتصوره شاعر المهجر "إيليا أبو ماضي".[2]

اعتمادا على هذا القول، فإنّ التجارب والوقائع التي مرّ بها "إيليا أبو ماضي" قد أثرت كثيرا في مضمون أشعاره، وفيما يأتي تفاصيل كل من خصائص شعره من حيث المضمون:

---

[1]–ينظر: تاريخ الشعر العربي الحديث، أحمد قبس، بيروت، دار الجيل، د.ت، ص 305.

[2]–ينظر: دراسات في الشعر المهجريّ، عبد الحكيم بليع، القاهرة، كلية العلوم، 1967، ص 37.

1- النّزعة التّأمليّة:

وتتّسم نزعة التأمل عند "إيليا أبو ماضي" بالحيرة والشك وبجذور إيمان عميقة وتمزّق حارّ في كثير من الأحيان.[1]

2-النّزعة الوجدانية:

إذ كان أبو ماضي شاعرا متفلسفا يعبّر عن أفكاره في الوجود والإنسان فإنه لم ينس عواطفه ومشاعره وهذا ما جعل شعره يتّسم بوجدانية ذاتية.

وقد ساد في شعره الوجدانيّ الذّكريات والحنين إلى الشّباب في أواخر حياته.[2]

3-حبّ الطبيعة:

وها هو "أبو ماضي" يجد بدوره في الطبيعة ملاذا يلجأ إليه حين تنقله أعباء الحياة وتدهمه بهمومها، ولم يلجأ إلى تصوير الطبيعة بطريقة وصفية، وإنما كانت مجالا لبثّ أفكاره وتأملاته وتتلخص هذه التأملات في الهروب من واقع المدينة المزعج نحو هدوء الطبيعة وسكينتها ولعله متأثر في ذلك بالأديب "جبران خليل جبران".[3]

4-التعلق بالوطن:

شأنه شأن كل شعراء المهجر، كان الحنين إلى الوطن هو الطيف المسافر دائما بداخله، فلم تخل دواوينه من التحدث عن وطنه وذكرياته وشوقه إليه.

وبقدر حبّه لوطنه الأول لبنان إلاّ أنه لم ينس وطنه الثاني مصر والذي شهد فترة خصبة من حياته الشعرية.

---

[1]-ينظر: مقومات الشعر العربي الحديث والمعاصر، محمود شوكت، ورجا عيد، القاهرة، دار الفكر العربيّ، د.ت، ج1، ص 232.

[2]-ينظر: شعر المهجر، كمال نشأت، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966، ص 82.

[3]-ينظر: المرجع نفسه، ص 82.

5-الإحساس بالجمال:

كان "إيليا أبو ماضي" يشعر دائما أنّ كلّ شيء من حوله جميل وشعور الإنسان بالجمال ينتج عن تفاعل داخلي بنفسه مع رموز البهجة التي يراها من حوله فالجمال يخلو داخل الإنسان عند مولده ويظل كامنا لا يتحرك إلاّ إذا تفاعل مع جمال خارجيّ محيطا بالبيئة التي يعيش فيها ومن حولها.[1]

"إيليا أبو ماضي" من أعظم شعراء العرب، له نظرة خاصة في الحياة، ينزع نزعة تأملية فلسفية إنسانيّة تفاؤليّة أثرت الغربة في شخصيته وبالحياة، فكان شعره يعجّ بالقضايا الإنسانية العادلة.

تأثر بالحياة في موطنه الجديد فجدّد في الشعر؛ أسلوبه غير مباشر يعتمد الطبيعة كأساس لتشخيص أفكاره ومعانيه.

ومن الخصائص الفنية أيضا في خطابه الشعري ما يلي:

- العناية بالمعنى والاهتمام بالفكرة عمقا ووضوحا؛
- الاتجاه إلى الرمز كوسيلة فنية؛
- التنوع في البناء الشعري، وعدم الالتزام بنظام القصيدة العمودية، من حيث الوزن والقافية؛
- الطابع الفلسفيّ يظللّ فكره، وغلبة النزعة التأملية والإنسانيّة عليه؛
- الطابع التفاؤلي صبغ فكره؛
- وفرة الخيال وقلة المحسنات البديعيّة.[2]

---

[1]-منتدى الإبداع الأدبيّ إيليا أبو ماضي، شاعر الطلاسم، عاطف الجنديّ.

[2]-ينظر: الاتجاهات الفنية في شعر إيليا أبو ماضي، رسالة ماجستير، من إعداد الطالب محمد علي سيد أحمد داوود وتحت إشراف د.أحمد الشرباصي، جامعة الأزهر، القاهرة، 1882، ص 180.

ختاما لهذا البحث توصلت إلى النتائج التالية:

- توسّعت وتعدّدت مجالات وأنواع الاغتراب والحنين عند شعراء المهجر، وأصبحت غرضا شعريّا يعبّر عن تجربة الشاعر الذّاتية؛
- يعدّ الشاعر المهجريّ "إيليا أبو ماضي" من أعظم الشعراء العرب المعاصرين في القرن العشرين ينتمي إلى مدرسة الرّابطة القلميّة؛
- "أبو ماضي" من أولئك الشعراء الذين عاشوا حياتهم غرباء؛
- غربة "أبو ماضي" صنعت في حياته الشّعريّة كل شيء: اللّجوء إلى الطبيعة، الحبّ والتّأمّل، والهروب من الواقع؛
- أشعلت الغربة في قبل "أبي ماضي" كلّ لوعة وألم يقتاتان من التّذكار الدائم للوطن وما فيه؛ وترويهما الحياة الأليمة الشاقة في المهجر؛
- كان حنين "أبي ماضي" حنينا إلى موطن الأهل والروح، والوطن الذي هو ذرة من ترابه وقطرة من مائه؛
- نظم "إيليا أبو ماضي" قصائد عدة في حبّ الوطن من بينها قصيدته "وطن النّجوم"؛
- تعبّر قصيدة "وطن النّجوم" عن فرحة الشاعر بعودته إلى وطنه، والاعتزاز بجماله، وشوقه وحنينه إليه؛
- تميّزت قصيدة "وطن النّجوم" بصدق العاطفة؛
- من الخصائص الفنّية في خطابه الشّعريّ: استخدام الأسلوب غير المباشر الذي يعتمد على الطبيعة، ووفرة الخيال؛
- نزع "إيليا أبو ماضي" نزعة تأمّليّة فلسفيّة إنسانيّة تفاؤليّة.

أولا: الكتـب.

1. أحمد علي الفلاحي، الاغتراب في الشعر العربيّ في القرن 7هـ، دراسة اجتماعية، نفسية، كلية العلوم الإسلامية، الفلوجة، جامعة الأنبار، 2013.
2. أبو بكر مرسي، أزمة الهوية في المراهقة والحاجة للإرشاد النفسي، مكتبة النهضة المصرية، ط1، 2002.
3. أبو عبد الله، بنان محمد، إيليا أبو ماضي، شاعر المهجر الأكبر، دار الوضاح للنشر والتوزيع، عمان، 2008.
4. ابن رجب الحنبلي، كشف الكربة في وصف أهل الغربة، مؤسسة الريان، الكويت، 1993.
5. ابن القيم الجوزيّة، مدارج السالكين بين إياك نعبد وإيّاك نستعين، دار الكتاب العربيّ، 1996.
6. إيليا أبو ماضي، باعث الأمل ومفجّرينا بيع التفاؤل، ط1، دار الفكر العربيّ، بيروت، لبنان، 1995.
7. إيليا أبو ماضي، الخمائل، دار العلم للملايين، بيروت، 1987.
8. إيليا الحاوي، إيليا أبو ماضي شاعر التساؤل والتفاؤل، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981.
9. إيليا الحاوي، في النقد والأدب، ج4، الأدب المعاصر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط5، 1986.
10. جورج صيدح أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية، ط2، بيروت، لبنان، 1997.
11. جورج ديمتري سليم، إيليا أبو ماضي، دراسات عنه وأشعاره المجهولة، دار المعارف، مصر، القاهرة، 1957.

12. جورج استيفانوس جحا، إيليا أوب ماضي، بيروت، 1960.
13. خليل برهومي، إيليا أبو ماضي، شاعر السؤال والجمال، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993.
14. رجب محمود، الاغتراب، سيرة ومصطلح، دار المعارف، القاهرة، 1988.
15. رشدة المصرتي، نشأة الأدب العربيّ في امهجر، د.ط، د.ت، PDF.
16. زهير ميرزا، إيليا شاعر المهجر الأكبر، دار اليقظة العربية، دمشق، 1963.
17. سالم المعوشي، إيليا أبو ماضي بين الشرق والغرب في رحلة التشرد، والفلسفة والشاعرية،، بيروت، 1997.
18. سامي الدهان، ديوان إيليا أبو ماضي، دار العودة، بيروت.د.د.ت،
19. سلمى الخضراء الجيوسي، الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 2007.
20. شكيب أنصاريّ، تطور الأدب العربيّ المعاصر، أهواز، ط1، 1976.
21. شوقي ضيف، دراسات في الشعر العربيّ المعاصر، دار المعارف، مصر، ط3.
22. صابر عبد الدّايم، أدب المهجر، دراسة تأصيليّة، تحليليّة في الأدب المهجريّ، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1993.
23. عادل الألوسي، الاغتراب والعبقريّة، دار الفكر العربيّ، القاهرة، ط1، ج4، 2003.
24. عبد اللطيف شرارة، إيليا أبو ماضي، دار بيروت للطباعة والنشر، ط1، 1981.
25. عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات وفي سيكولوجية الاغتراب، دار غريب، القاهرة، 2003.
26. عبد اللطيف اليونس، المغتربون، مطبعة العرفان، صيدا، 1964.

27. عبد الحكيم بليع، دراسات في الشعر المهجريّ، كلية دار العلوم، القاهرة، 1967.
28. عبد عون الروضان، الشعراء العرب في القرن العشرين، حياتهم، شعرهم، آثارهم، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، 2005.
29. عبد الرضا علي، موسيقى الشعر العربيّ، قديمه وحديثه، دار الشروق، عمان، الأردن، ط2، 1997.
30. عباس إحسان، الشعر العربيّ في المهجر، دار صادر للطباعة والنشر، ط2، 2005.
31. عيسى الناعوريّ، إيليا أبو ماضي، رسول الشعر العربيّ، منشورات عويدات، بيروت، 1958.
32. قبس أحمد، تاريخ الشعر العربيّ الحديث، بيروت، دار الجيل، د.ت.
33. كمال نشأت، شعر المهجر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966.
34. لطيف زيتوني، أدباء المهجر وأزمة الانشطار الروحي، د.ط، د.ت.
35. محمد عبد المنعم خفاجيّ، دراسات في الأدب المعاصر، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، د.ت.
36. محمد عبد المنعم خفاجيّ، قصة الأدب المهجريّ، دار الكتاب اللبنانيّ، بيروت، دار الكتاب المصريّ، القاهرة، ط3، 1970.
37. محمد مصطفى هدارة، التجديد في المهجر، دار الفكر العربيّ، ط1، د.ت.
38. محمد محمود، إيليا أبو ماضي شاعر الغربة والحنين، دار الفكر اللبنانيّ، ط1، م1، 2003.
39. محمد الأنطاكيّ، الوجيز في فقه اللغة، دار الشروق، بيروت، ط3.

40. محمود شوكت، ورجاعيد، مقومات الشعر العربيّ الحديث، القاهرة، دار الفكر العربيّ، د.ت، ج1.

41. محمد عبد الغني حسن، الشعر العربيّ في المهجر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1955.

42. ماهر حسن فهمي، الغربة والحنين في الشعر العربيّ، منشورات معهد البحوث والدراسات العربيّة، دمشق، 1970.

43. هاني الخيّر، موسوعة أعلام الشعر العربيّ الحديث، إيليا أبو ماضي شاعر الحنين والأحزان؛ دار رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، 2012.

44. نسيب عريضة، ديوان الأرواح الحائرة، دار العودة، عمان، الأردن، ط2، 1992.

ثانيا: المجلّات والدّوريات.

1. خليفات سحبان، فكرة الاغتراب في الفكر العربيّ، مجلة أفكار، ع24، 1974.

2. درايسة محمود، الغربة في شعر بكر العزاوي، مجلة تشرين للدراسات العلمية والبحوث، م4، ع1، اللاذقية، 1992.

3. عيسى النوري،الاغتراب اصطلاحا، مفهوما وواقعا، مجلة عالم الفكر، م10، ع1، الكويت، 1997.

4. زليخة جديدي، الاغتراب، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة وادي شوق، الجزائر.ع8، 2012،
5. غازي النعيمي، الحنين إلى الشباب في ديوان الخمائل لإيليا أبو ماضي، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، م11، ع1، 2011.
6. نجدة صفوة، جريدة البلاغ، 20-09-1940، إيليا أبو ماضي والحركة الأدبية في المهجر، أمريكا، مطبعة الحكومة.

ثالثا: المعاجم والقواميس.

1. أحمد حسن الزيات، المعجم الوسيط، م2، القاهرة، دار المعارف، 1980.
2. أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، م1، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 2008.
3. ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، م4، بيروت، ط1، 1991.
4. جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط2، م1، 1994.
5. خير الدين الزركليّ، الأعلام، قاموس التراجم، دار العلم للملايين، ط3، 2002.
6. الخليل بن أحمد الفراهيديّ، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزوميّ، إبراهيم السامريّ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
7. محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، تحقيق عصام فارس الحرستاني، دار عمارة عمان، ط9، 2005.

رابعا: الرسائل والأطروحات الجامعية.

1. بنعلي قريش، الاغتراب في الشعر العربيّ، رسالة دكتوراه، جامعة بلعباس، 2005.
2. عادل محمد العقيليّ، الاغتراب وعلاقته بالأمن النفسي لدى طلاب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، السعودية، رسالة ماجستير، الرياض، السعودية.
3. عبد القادر شريف بموسى، الاغتراب في حكايات ألف ليلة وليلة، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، 2005.
4. عبد الكريم أروينة، الوطن في شعر إيليا أبو ماضي، رسالة ماجستير في الأدب الحديث والمعاصر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2007.
5. محمد علي سيد أحمد داوود، الاتجاهات الفنية في شعر إيليا أبو ماضي، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، القاهرة، 1982.

خامسا: المواقع الإلكترونية.

1. http://www.sudaress.com/
2. http://vb.mediu.edu.my/
3. http://www.adab.com/
4. http://www.syrianstory.com/
5. http://www.startimes.com/

الفهـرس

- مقدمة.....أ، ب، ج
- **مدخل:** أدب المهجر: مفاهيم ومصطلحات.....2-16
- ***الفصل الأول:*** السيرة الشخصية والأدبية "لإيليا أبو ماضي".
- **المبحث الأول:** سيرته الشخصية (مولده ونشأته، تعليمه، صفاته، وفاته).....18-22
- **المبحث الثاني:** سيرته الأدبية (ثقافته، كتاباته، مؤلفاته).....23-30
- **المبحث الثالث:** أغراضه الشعرية.....31-38
- ***الفصل الثاني:*** تجليات الاغتراب والحنين في شعر إيليا أبو ماضي.
- **المبحث الأول:** دواعي الشعور بالاغتراب والحنين عند إيليا أبو ماضي (الأسباب).....40-45
- **المبحث الثاني:** أثر الغربة في شعر إيليا أبو ماضي.....46-48
- **المبحث الثالث:** مضامين الاغتراب والحنين في شعر إيليا أبو ماضي.....49-51
- ***الفصل الثالث:*** دراسة تطبيقية حول قصيدة "وطن النجوم" لإيليا أبو ماضي.
- **المبحث الأول:** عرض نص القصيدة.....53-54
- **المبحث الثاني:** دراسة فنية للقصيدة:.....55-64

  -موضوع القصيدة، الإيقاع ، العاطفة، التصوير، الوحدة في القصيدة.
- **المبحث الثالث:** الخصائص الفنية في خطابه الشعريّ.....65-69

  1-الخصائص الشكلية.

  2-الخصائص المضمونية.
- الخاتمة.....71-72
- قائمة المصادر والمرجع.....74-80

الملخص:

شغل موضوع الاغتراب والحنين عند شعراء المهجر اهتمام الكثير من الباحثين والدّارسين؛ فالاغتراب يعني العزلة والابتعاد عن الوطن والأهل، أما الحنين فيُراد به الشوق. وقد برز في هذا المجال شعراء كثر عبّروا عن حنينهم وشوقهم وحبهم لأوطانهم وأهاليهم ومن بينهم: "إليا أبو ماضي" الذي يُعدّ من أبرز الأصوات الشعرية في المهاجر الأمريكية وعلم من أعلام الشعراء العرب المعاصرين. نظم قصائد عدة في حب الوطن من بينها قصيدته المشهورة "وطن النجوم" ويمتاز شعره بصدق الشعور والأسلوب البسيط.

الكلمات المفتاحية: الأدب المهجري، الاغتراب، الحنين، الشعر، إيليا أبو ماضي.

Résumé :

Les sujets de l'aliénation et la nostalgie selon les poètes de l'exil ont une grande importance chez les chercheurs. l'aliénation signifie l'éloignement et l'isolement loin de la famille et le pays, et la nostalgie veut signifier le désir (alshshawq). Et plusieurs poètes ont montré ce champ pour interpréterez leur chagrins et nostalgies et amours de leurs pays et familles, comme : Elia Abû Mâdi, l'un des voix poétiques phares dans les exils américaines, et parmi les poètes arabes contemporaines les plus connus. Il a créé des poèmes dans le patriotisme, comme son poème intitulé 'le pays des étoiles'. Son poème désigné par le sentiment sincère et le style simple

Les mots clés :

Littérature du l'exil, l'aliénation, la nostalgie, le poème, Elia Abû Mâdi.

Abstract :

The topics of alienation and longing as the exile poets have great importance for researchers. alienation means the remoteness and isolation away from family and country, and nostalgia will mean desire (alshshawq). And many poets have shown for this field will interpret their sorrows and longings and love of their country and families, such as: Elia Abu Madi, a flagship poetic voices in American exile, and among the most famous contemporary Arab poets. He created poems in patriotism, as his poem 'the land of the stars. His poem appointed by the sincere sentiment and simple style.

Key words :

Literature of exile, alienation, nostalgia, poem, Elia Abu Madi.